

البوابة البابلية

سيوف الجعجة وسيوف الطعن

”في لعبة البلياردو شيان مهمان: العصا والكرة البيضاء المعروفة بكرة ’كيو‘ (Cue ball). مفتاح هذه اللعبة أن يسدد اللاعب رأس عصاه إلى الكرة البيضاء ثم يدفعها فتضرب الكرات الملونة الباقية وتسقط في مراميها. العصا في هذا التشبيه هي التصميم على حل المشاكل. الكرات الملونة هي معظم المشاكل التي يمكن حلها أو المساهمة في حلها تلقائياً أحياناً إذا عثرنا على الحلول الاستراتيجية الكبيرة. الكرة البيضاء هي أحد هذه الحلول الكبيرة... ما هو العمل الحاسم في لعبة البلياردو؟ أن يتقن اللاعب التسديد ويعرف مسبقاً ما هو الهدف المرحلي الذي يجب أن يحققه وصولاً إلى الهدف الاستراتيجي.“^{١٦٠}

لقد أورد الأمير عبد الله بن مساعد بن عبد العزيز آل سعود في كتابه: ”ألف ميل في خطوة واحدة“ التشبيه أعلاه لعرض رأيه في حل المشاكل الاقتصادية التي تواجهها السعودية، وسنستعيه هنا لوصف الوضع الذي وجدت أميركا نفسها فيه بعد انهيار مشروعها العراقي: سطح طاولة البلياردو في هذا التشبيه هو العالم، العصا هي القوة العسكرية، الكرة البيضاء هي العراق، الكرات الملونة هي الدول التي تنافس أميركا مثل الصين وروسيا وإيران والأهداف النقدية والاقتصادية والاستراتيجية وتلك التي تتصل بأمن الطاقة الأميركي والسيطرة على قرار تصدير الطاقة وغيرها.

وبما أن العصا العسكرية الأميركية أخفقت بعد أكثر من أربع سنوات من القتل والتدمير في توظيف الكرة العراقية البيضاء لخدمة أهدافها الأخرى فقد ترتب على ذلك إخفاق العصا العسكرية الأميركية في وضع كل الأهداف الملونة الأخرى في المرامي الأميركية. وانتبهت الكرات الملونة إلى ما تحاول أميركا تحقيقه من وراء السيطرة على مصير الكرة العراقية البيضاء فتحررت بسرعة لبناء دفاعاتها واتخذت الاحتياطات الاستراتيجية

الضرورية وستستمر في هذا الجهد بغض النظر عما يحدث من الآن فصاعداً للكفة العراقية البيضاء، لأن هذه الكفة العراقية التي رفضت أن تضع نفسها في خدمة أميركا حرمت الكفة العسكرية الأميركية من عامل المفاجأة واتضح للعالم ما الذي تريد أميركا تحقيقه بالضبط. وفي العراق تحولت العصا العسكرية الأميركية في يد استراتيجيي الإدارة الأميركية إلى حبل فبدأت أميركا اعتباراً من نهاية ٢٠٠٦ التركيز على بغداد. وكما لجأت أميركا إلى الكفة الجوية التدميرية الشاملة في فيتنام وكمبوديا ولاوس في نهاية الستينات وبداية السبعينات عندما فشلت الكوات الأميركية الراجلة في تحقيق النصر، فإنها لجأت إلى الكفة التدميرية الجوية في العراق في بداية ٢٠٠٧ لتحقيق ما لم يتمكن الجنود الأميركيون من تحقيقه على أرض الأنبار والموصل وغيرها. وهكذا عادت أميركا إلى فعل ما تتقنه ولجأت في العراق إلى ما سبق ولجأت إليه في فيتنام أي الكفة الحقيقية التي تتمتع بها أميركا وهي الكفة التدميرية العمياء لسلاح الطيران. وكان التدمير الذي لحق بفيتنام الشمالية والجنوبية هائلاً وقتل من النساء والأطفال أكثر بكثير مما قتله من الجنود لكنه لم يتمكن من تحقيق النصر في النهاية لأن الطائرات تملك السماء لكنها لا تملك الأرض. وينطبق هذا على العراق وأفغانستان وأي دولة ستحاول أميركا غزوها عندما تجد العدد الكافي من الجنود والمرتزة ما لم يتمكن الأميركيون أنفسهم من وقف آلة التدمير التي أطلقوها على الشعوب الأخرى ووضعوا كوكب الدمار في سماء البشرية.

وإذا لم تستطع العصا العسكرية الأميركية نقر الكفة العراقية البيضاء المنخورة بثلاثين سنة من الحروب والحصار الاقتصادي والمرض والجوع والمذابح فما هو أملها بنقر الكفة الروسية التي بدأت تتخذ احتياطاتها بسرعة؟

صفر.

والصينية؟

صفر.

والكورية الشمالية أو حتى الإيرانية؟

ضعيف جداً.

وتطويع أميركا اللاتينية ثانية؟

صعب جداً لأن خروج أميركا من العراق دون التمكن من تحقيق أهدافها يمكن أن يؤدي إلى خروجها من منطقة الشرق الأوسط، فيما يمكن أن يؤدي خروجها المحتمل من أفغانستان إلى خروجها من منطقة وسط آسيا، واتضح خلال الزيارة التي أداها الرئيس بوش إلى عدد من دول أميركا اللاتينية في مارس ٢٠٠٧ أن أميركا فقدت الكثير من نفوذها السابق في تلك القارة.

وما هو سبب كل هذا؟

هل تذكرون قصة "ثياب الأمبراطور الجديدة" لهانز كريستيان أندرسن؟ كان هذا الأمبراطور مغرماً بالثياب الجميلة. وذات يوم جاءه بلطجيان زعما أنهما يستطيعان حياكة ملابس لا يستطيع أن يراها كل من هو ليس أهلاً لارتداء هذه الملابس أو الأغبياء. وصار الأمبراطور يرسل مساعديه إلى الحياكين فلم يروا ثياباً لكنهم خافوا أن يُتهموا بالغباء فصاروا يبالبغون في وصف جمالها. ولما انتهى البلطجيان من حياكة لا شيء تصنّعا وضعها على الأمبراطور العاري فخرج إلى الناس في مسيرة ملكية فصار الناس يعظمون ملابس الأمبراطور خوفاً من أن يتهمهم بالغباء إلا طفل صغير نظر إلى الأمبراطور ملياً ثم صاح بالناس أن الأمبراطور بلا ثياب. وانتبه الناس وصاروا يكررون أن الأمبراطور بلا ثياب. وسمعهم الأمبراطور لكنه تجاهلهم ورفع رأسه عالياً ومشى بأبهة فيما البلطجيان يحملان ذيل ملابسه الوهميّة وراءه.

لقد انتبه الطفل العراقي إلى الأمبراطور ورأى ما لم يشأ أحد قبله أن يراه وهو أن الأمبراطور الأميركي بلا ثياب. وسقطت ثياب الأبهة من على الجسد الأمبراطوري الأميركي في العراق نتيجة فشله فراه العالم عارياً وشاهدوا خصيتيه وقد لوحتهما الزوبعة الاستراتيجية الهابة عليه فتحرروا من خوفهم منه وبات محط سخرية العالم. وقلنا إن فيتنام ليست العراق لكن سنقول بعد اشتراك ١.٥ مليون جندي أميركي (٧٥٪ من القوات العاملة تقريباً) في محاولة تطويع العراق إن العراق ليس فيتنام. وكان من المفترض أن تخوض القوات الأميركية في العراق المعركة الأولى من سلسلة معارك ستنتهي بسيطرة أميركا على العالم إلى يوم يعثون، فصار العراق المعركة الأخيرة. ولم تعد أميركا قادرة على البقاء لأن الاصرار على البقاء سيحمل إليها الكارثة، ولم تعد قادرة على الانسحاب لأن الانسحاب سيحمل إليها كارثة أكبر. وهكذا سدّ بوش برعوتته المنافذ كلها على نفسه فلم يعد قادراً على التقدم ولم يعد قادراً على التراجع، وسيكتشف أن حلفاءه العرب لعبوا دوراً حاسماً في توريطه بما لا طاقة له على احتماله عندما هونوا عليه احتلال العراق.

وكان الرئيسان جونسون ونيكسون يخشيان أكثر ما يخشيانه أن ينتبه العالم إلى ما حدث في فيتنام حقيقة فلا يستتج أن أميركا انهزمت في فيتنام بل أن الشيوعية انتصرت على أميركا، وقلما ينتبه الناس إلى أهمية الفرق الهائل بين الحالتين. ولم يختلف الوضع بالنسبة لبوش إذ قال دائماً إن حربه هي حرب على الإرهاب. ووصف الجنرالات في العراق المقاومة دائماً بأنها عصابات من الإرهابيين وأكد الإعلام الأميركي ذلك عندما نشر البيانات العسكرية الأميركية وما تدعيه الاستخبارات، لذا فإن بوش خائف مثل جونسون ونيكسون أن ينتبه العالم إلى ما حدث في العراق فلا يستتج أن أميركا انهزمت في العراق

بل أن الإرهاب انتصر على أميركا وقلما ينتبه الناس إلى أهمية الفرق الهائل بين الحالتين. لقد خدع الرئيس بوش الأميركيين طوال سنوات الحرب الأربع في العراق وعاد ليخدعهم مرة أخرى في بداية السنة الخامسة عندما أعلن عن معركة جديدة في العراق هي معركة بغداد. لا تنخدعوا مثل الأميركيين. لا توجد معركة في بغداد. المعركة خارج بغداد لكن الرئيس بوش لا يريد أن ينظر الناس إلى ما يحدث في العراق فطلع ماديسون أفنيو بخطة جديدة لكي ينظروا إلى ما يحدث في بغداد فقط لأن الإعلام الأمريكي موجود في المنطقة الخضراء في بغداد وسينقل معظمه للعالم الصورة التي يريد بوش نقلها لأن طيلسان الدولية التي أوهم معظم الإعلام الأمريكي العالم بوجودها على جسده الأمبراطوري الأمريكي سقط هو الآخر في العراق فرآه الناس عارياً واكتشفوه مجرد أداة بيد السيطرة الأميركية يلعب في السياسة الدور الذي يلعبه الطيران في الحرب وهو التغطية.

ومنذ ٣٢ سنة حاول الرئيس نيكسون خداع الأميركيين عندما أعلن عن معركة جديدة في فيتنام هي معركة سايجون. لم تكن في سايجون معركة. كانت في شمال سايجون لكن نيكسون لم يشأ أن ينظر الناس إلى ما يحدث في فيتنام المنهارة فحاول إقناعهم بالنظر إلى سايجون لأن الإعلام الأمريكي كان موجوداً في سايجون. ويعرف القارئ ما حدث آنذاك لذا يعرف الآن أن العواصم هي ساحات المعارك الأخيرة في معظم الحروب نصراً أو هزيمة لا ساحات المعارك الأولى. ولا تختلف حرب العراق في هذا عن الحروب الأخرى فقد كان آخر معقل أميركي سقط في فيتنام هو السفارة الأميركية في سايجون، وتوجد سفارة مماثلة في المنطقة الخضراء بدأت القوات الأميركية الدفاع عنها في فبراير ٢٠٠٧.

ودخلت الحرب الأميركية في العراق سنتها الخامسة وتغيرت لهجة المسؤولين الأميركيين الحكوميين حتى ليحسب المرء أنهم ينطقون بلسان حكومة جديدة غير حكومة بوش. إنها لهجة الحوار، ولهجة الدبلوماسية، ولهجة المصالحة لكن لا تنخدعوا. إنها لهجة الضعف لكن الأفعى لا تستطيع تغيير شكل جلدها لذا غلّف الأميركيون الضعف بالتهديد، وغلّف حلفاؤهم العرب الاستماتة لإبقاء أميركا في العراق بالدعوة العلنية إلى وقف إراقة الدم في العراق فيما هم ينفقون "مليارات الدولارات لتشويه صورة أبناء المقاومة في أعين شعبها، وإلباس هذه المقاومة الطاهرة لبوس الإجرام أو الإرهاب، فتارة يقومون بعمليات لقتل أبرياء لا ذنب لهم ثم يروج إعلام هؤلاء أن المقاومة هي من صنعت هذا الصنيع، وأحياناً يتمكنون بعد جهد جهاد من اختراق مجموعة تعمل في إطار مدافعة المحتل فتتفد من العمليات ما يخدم مآربهم." ^{١٦١}

وتعرف المقاومة في العراق، كما تعرف الصين وروسيا وكوريا الشمالية وإيران ودول كثيرة أخرى، أن الجيش الأميركي ليس الجيش الذي رآه الناس في عيون الممثلين

الأميركيين فهو يتميز بقدرة كبيرة على التدمير والقتل لكنه لم يستطع تحقيق النصر في فيتنام ولم يستطع تحقيق النصر في العراق والأرجح ألا يستطيع تحقيق النصر في أفغانستان. ومن يهدد، كما يقول الصديق عبد الباري عطوان، يرمي الحجارة الكبيرة وحاملات الطائرات، ومن يشوش يرمي الكذب الكبير ويخترع التحالفات والمواقف الكبيرة لكن سيكون على أميركا أن تتوقع مجموعة من التحديات وخيبات الأمل خلال السنوات القليلة المقبلة في قرارات كثيرة وعلى مستويات عدّة في تعاملها مع دول مثل روسيا والصين والعراق وإيران وكوريا الشمالية وغيرها. ولم يفت معلق في صحيفة نيويورك تايمز كل هذا فكتب تحت عنوان ”سيوف إضافية للجعجعة وسيوف أقل للطعن“: ”بقي في الجعبة الأميركية من التباهي ما يكفي لحمل كوريا الشمالية على التفكير عندما أرسلت إلى اليابان تشكيلة من طائرات إف - ٢٢ القادرة على تفادي شبكات الرادار... وسعت أميركا إلى تحقيق الهدف نفسه من وراء قرار إرسال حاملة طائرات أخرى وصلت الأسبوع الماضي إلى مكان قريب من الخليج الفارسي. وتبدو هذه الخطوات ردوداً جغرافية - سياسية منطقية تماماً على المخاطر المتعاضمة، لكنها ساهمت في وضع القناع على حقيقة أخرى هي أن القوة العسكرية الأميركية لا تملك هذه الأيام من القوات البرية ما يكفي لاستخدامها للتهديد، فهذه التحركات ليست الخيارات التي انتقتها أميركا من بين خيارات عدّة بل الخيارات الوحيدة.“^{١٦٢}

إن الأمل أحياناً أشدّ بلاءً من اليأس. وانتظر العرب ٦٠ عاماً وصول الإدارة الأميركية التي ستجلب إلى بلادهم السلام لكنها لم تجلب إلى بلادهم سوى الحرب. وكلما رحلت إدارة أميركية جاءت إلى البيت الأبيض حكومة أضرت منها لذا استمر التدخل واستمرت المذابح وقصف المدن والأحياء السكنية في فلسطين والعراق والصومال. وبدلاً من فلسطين واحدة صار في بيت العرب اثنتان، وكلما ازداد عدد القواعد الأميركية ازداد القتل فصار بمئات الألوف وصار اللاجئون والنازحون بالملايين.

لقد مات أمل أمم كثيرة بصلاح أميركا لكن أمل العرب لا يزال حياً. لماذا يا ترى؟ لقد سمع العرب الإدارة الأميركية وراء اختها تدعي أنها تريد إحلال السلام في الشرق الأوسط ثم رأوها تمدّ إسرائيل بالسلاح وتتهم كل من يقاوم إسرائيل بالإرهاب وتحض حكومات مثل حكومة إيهود أولمرت الضعيفة على مهاجمة حزب الله فمتى سيقنع العرب أن أميركا لا تريد السلام في الشرق الأوسط؟

ما هي المصالح الأميركية التي يمكن أن يخدمها السلام في الشرق الأوسط أو في شبه الجزيرة الكورية؟

لقد باعت أميركا الدول الخليجية بعد غزو العراق في المرة الأولى أسلحة بقيمة ١٠٠

مليار دولار، وقدمت لإسرائيل أسلحة يمكن أن تصل قيمتها إلى ٥٠ مليار دولار فكيف كانت صناعة الأسلحة الأميركية، والبريطانية أيضاً، ستمكن من بيع كل هذه الأسلحة إذا كان الشرق الأوسط سلاماً في سلام؟ كيف كانت أميركا ستبرر وجود كل هذه التسهيلات العسكرية في إسرائيل، ووجود كل هذه القواعد العسكرية الأميركية في دول عربية؟ من تحمي هذه القواعد؟ لقد بدأت أميركا نشر قواعدها العسكرية في الخليج لحماية من الاتحاد السوفيتي الذي غزا أفغانستان آنذاك فهل سحبت أميركا هذه القواعد بعد خروج القوات السوفيتية من أفغانستان ثم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي أم أبقتها وأضافت إليها قواعد أخرى؟

ورافقت إلين شانون مراسلة مجلة تايم الأميركية كوندوليزا رايس في جولة مكوكية أخرى على الأنظمة العربية التي تتعامل معها آخر مارس ٢٠٠٧ واستمعت إلى كل كلمة قالتها رايس عن "محور جديد في السياسة الأميركية للتعامل مع القضية الفلسطينية" ثم اعترفت المراسلة في مقال نشرته بتاريخ ٢٦ مارس ٢٠٠٧ أنها لم تفهم شيئاً مما سمعته. أنا أيضاً لم افهم شيئاً. اسمعوا ما قالته رايس: "جرت محاولات كثيرة لحل النزاع الفلسطيني الإسرائيلي. جميعنا يعرف ما هي... بالنسبة لي أهم شيء وضع أرضية العمل لكل طرف، ثم وضع هذه الأرضيات في نهاية المطاف إلى جانب بعضها البعض قبل أن تبدأ في إجبار الناس على كشف مواقعهم التفاوضية." وبما أن شانون لم تفهم شيئاً مما سمعته فإنها فهمت شيئاً آخر أهم بكثير لم يفهمه معظم العرب حتى الآن هو الآتي: "يجادل قادة وخبراء كثيرون بأن مواقف الجماعات المتفرقة تصلبت منذ زمن طويل وأن سبب استفحال النزاع هو أن الأطراف لم تجد من مصالحها أن تحل هذا النزاع."

إذا انسحبت القوات الأميركية من العالم العربي فستبدأ إسرائيل في اليوم التالي من رحيلها مفاوضات حقيقية للتوصل إلى سلام. وإذا انسحبت القوات الأميركية من العالم العربي فستبدأ الأنظمة العربية في فتح أبواب السجون والنوافذ المغلقة على العالم وستبدأ الشعوب في تنفس هواء الحرية. أما العكس فيعني العكس تماماً لأن السلام مقتل الأمبراطوريات، لذا وجدت أميركا دائماً عذراً أو آخر لنشر قواعدها في بلاد العرب، وإن لم تجد العذر المناسب أو لم تستطع استفزاز دولة أو أخرى لخلق هذا العذر فستخترعه، وإن لم تخترعه هي فستخترعه أنظمة الظلم العربية لأن بعض هذه الأنظمة يقتات من بيع مواقف الشعوب والأمة ويعيش على تفجير الأزمات واستمرارها ولا قيمة له أبداً من دونها. ومع ذلك يجب أن نعرف أن هذه الأنظمة ما كانت ستتج هذه البضاعة لو لم تجد في واشنطن من يشتريها لأن أميركا تحتاج إلى من يبرر وجودها العسكري في العالم العربي ويؤجج النار في المنطقة لكي يشتد الطلب على مطافئ الحريق الدبلوماسية والعسكرية

الأميركية. وكان العذر في الأربعينات هو الخوف من تهديد القوات اليابانية الخليج، وصار في الثمانينات الخوف من تهديد القوات السوفيتية الخليج وصار في التسعينات الخوف من تهديد القوات العراقية الخليج وصار في بداية القرن الواحد والعشرين الخوف من تهديد إيران دول الخليج. وذهب التهديد بعد الآخر لكن بقيت القواعد وفي كل مرة تطلع أميركا بعذر جديد نتيجة تهديد جديد تضيف إلى الوجود العسكري وجوداً عسكرياً جديداً. ولو فتح الخليجيون عيونهم لاكتشفوا أن الدولة الوحيدة التي تمكنت من مركزة ألوف الجنود في الخليج خلال الخمسين سنة الماضية ليست اليابان أو الاتحاد السوفيتي أو إيران بل أميركا. ولو فتح العرب عيونهم لاكتشفوا أن أكثر أنظمة الظلم العربية مطالبة بالتدخل الأميركي لحل النزاع العربي - الفلسطيني هي الأنظمة التي جعلت من نزاع بسيط على الأرض الفلسطينية أعقد نزاع في تاريخ البشرية.

إن العنف في الشرق الأوسط لم يكن سبب إرسال القوات الأميركية إلى العراق والصومال والخليج وبحر العرب بل هو نتيجة وجود القوات الأميركية في الشرق الأوسط. ولست من المعجبين بالرئيس الإيراني محمود أحمددي نجاد ولا أعتقد أنه الزعيم المناسب لإيران أو المثال الذي يمكن أن يقتدي به العرب لكنه أصاب تماماً عندما قال خلال زيارة إلى السودان آخر فبراير ٢٠٠٧ ”من الواضح أن وجود قوات الاحتلال في الأراضي العراقية له هدف لا ثاني له هو سرقة ثروة ذلك البلد واستخدامه قاعدة لتوسيع نطاق الهيمنة الأميركية على دول المنطقة والعالم الإسلامي كله.“^{١٦٣}

ممر خبير العربي

إذا استخلص القارئ من هذا الكتاب وجود ”مؤامرة“ أميركية شاملة للسيطرة على العالم فهذا ليس القصد من وضعه. لا توجد مثل هذه المؤامرة فلا ترهقوا أنفسكم بالبحث عنها. هل يمكن اتهام الرئيس التنفيذي لشركة سعودية أو إماراتية كبيرة بأنه ”يتآمر“ لتعزيز أداء شركته وتعظيم أرباحها ودفعها في اتجاه الدوليّة؟ لا يمكن. هذه بالضبط هي المهمة التي يريد مجلس إدارة الشركة من الرئيس أو المدير التنفيذي القيام بها وإلا سيجد نفسه في الشارع. إذاً لا يمكن اتهام الحكومات الأميركية بأنها تتآمر شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً لتعزيز أداء الولايات المتحدة وتعظيم مداخيلها ودفعها في اتجاه الدوليّة. هذه بالضبط هي المهمة التي يريد مجلس إدارة المؤسسة الأميركية من رئيسها التنفيذي (رئيس الجمهورية) القيام بها وإلا سيجد نفسه في الشارع.

اسألوا أنفسكم: إن لم يخدم النظام الرأسمالي ربّ هذا النظام وهو المال فمن يخدم؟ الحرية؟ الديمقراطية؟ الإنسانية؟ الاستقلال؟ إذا استعظم الناس على أميركا تدمير العراق

أو تدمير فيتنام أو قتل أبرياء العراق أو اغتصاب عبيد وغيرها أو تعذيب السجناء أو اختطاف معارضي السياسات الأميركية أو دعم أنظمة الظلم العربية وغيرها فيجب أن يعرفوا أن هدف المؤسسة الأميركية ليس القتل والاعتصاب والتعذيب واختطاف المعارضين ودعم أنظمة الظلم بل تعظيم العائدات ولا يتحقق هذا التعظيم المطلق إلا بالسيطرة المطلقة ولا يتأتى في بعض الحالات، كما بالنسبة للعراق مثلاً، سلماً بل بالقتل والتدمير والتعذيب. لو لم يقاوم العراقيون الاحتلال وخضعوا للهيمنة الأميركية كما خضع اليابانيون والكوريون الجنوبيون وسلّموا لها أمرهم واستقلالهم ونفطهم لما حدث كل هذا، أو معظمه.

العراقيون ليسوا الوحيدين الذين قُتلوا في العراق بمئات الألوف ولحقت بهم العاهات والأمراض النفسية. أميركيون بالألوف ماتوا في العراق أيضاً وأصيبوا بعاهات وأمراض نفسية لخدمة هدف السيطرة المطلقة للمؤسسة الأميركية على العراق. إنه ثمن مقبول للمؤسسة الأميركية التي تعتقد أيضاً أنه الثمن الذي يجب أن يدفعه كل من يقف في وجه هذه السيطرة. لا توجد مؤامرة. المؤامرات تُحاك في الأقبية أو في السر وعمل أميركا مكشوف ومعروف. لا تستغربوا! هذه بالضبط هي طبيعة النظام القائم في أميركا. وعرضنا في هذا الكتاب من الأمثلة المستندة إلى الوثائق الأميركية الرسمية وتقارير الصحف الأميركية الأكثر صدقية من غيرها ما يثبت أن ما فعلته حكومة بوش في العراق لا يختلف كثيراً عما فعلته الحكومات الأميركية السابقة في عشرات الدول الأخرى حيث قتلت الملايين لأن هدف كل هذه الحكومات واحد هو خدمة المؤسسة الرأسمالية التي تحكم أميركا وتعظيم المداخل والأرباح. لا توجد نهاية معروفة لهذا السعي لأنه لا توجد نهاية معروفة للمال. لم نسمع مليارديراً واحداً يقول مرة واحدة إنه اكتفى بما جمعه لذا لن نسمع أميركا تقول إنها اكتفت من بناء القواعد العسكرية في بلاد البشر الآخرين.

إذا شاء القارئ التبسيط فليفكر بهذا الأمر مستخدماً مثال القرش الأبيض. هل يتوقع القارئ أن يرحم القرش الأبيض سمكة تسد عليه طريق التنقل بحرية مطلقة في المجال الحيوي الذي يريده لنفسه أو مشاركته الغذاء الذي يريده بالكمية التي يريدها؟ أميركا في بركة الشرق الأوسط قرش أبيض كبير يقول إنه لا يريد سوى العراق لكن دور السمك السابح في البركة نفسها آت لا محالة. ويسمع السمك الآخر القرش يحلف له بأغلظ الأيمان أنه مجرد سمكة بريئة مثل السمك الآخر فيصدّقه لأنه لا يعرف كيف يفكر القرش الأبيض، أو يعرف ويحاول أن يقنع باقي السمك أنه في أمان مع القرش نفسه في البركة نفسها لعل القرش يلتهم السمك الآخر ويتركه هو. لن يحدث هذا وسيطال الدور الجميع لأن القرش سيكبر وستكبر معدته. إنها مسألة وقت فقط.

وفي الغرب مثل شائع: ”على المرء أن يحذر مما يتمناه“، لذا على العرب الذين يتمنون زوال أميركا، وهم كثر ولأسباب شتى معظمها مفهوم تماماً، أن يحذروا مما يتمنونه لأن الأمة في وضعها الحالي لا تستطيع أن تسد الفراغ الذي ستخلفه وراءها. وتمنى العرب في بداية القرن الماضي زوال السلطنة العثمانية لظلمها فجاءتهم الأمبراطوريتان الفرنسية والبريطانية وفعلتا من الشرور ما جعل عرباً كثيرين يترحمون على العثمانيين. وتمنى العرب للأمبراطوريتين البريطانية والفرنسية الزوال فجاءتهم أميركا وارتكبت في العراق من التوحش والشرور والمذابح والتدمير الرهيب خلال أربع سنوات ما فاض عما ارتكبته أختها الإسرائيلية الصغيرة في فلسطين خلال ٦٠ عاماً مما جعل بعض العرب يترحمون لا على العثمانيين فقط بل على البريطانيين. وها نحن في بداية قرن آخر وصراع آخر مع إمبراطورية أخرى يتمنى العرب زوالها فمن يرشح العرب لملء الفراغ إن لم يسارعوا هم لسد الفراغ بأنظمة العدل لا بأنظمة الظلم، وبالتسامح لا بالتشدد، وبالمرونة والحوار لا بالإرهاب، وبالتنوير والانفتاح وروح التعايش مع باقي الأديان والشعوب لا بالتخشب الفكري والانغلاق والمصادمة؟ أوروبا مرة أخرى؟

لم يرتفع الظلم بعد، ولم يسد التنوير والانفتاح وروح التعايش بعد ولا نجد أي مؤشرات مهمة تسوّغ التفاؤل بتحوّل الحراك العربي إلى جهد جماعي لتحقيق هذه الأهداف التي لم تعد ضرورية لكي يتمكن العرب من بناء دولتهم العظمى فقط بل ضرورية من أجل بقائهم أمة متميزة وممارسة الحقوق التي تتمتع بها أمم أخرى. لا يوجد في الوطن العربي اليوم من لا ينتمي إلى فئة أو حزب اختياراً أو بالطبيعة: حزب الغضب، حزب النقمة، حزب الهجرة، حزب العبث، حزب السلبية، حزب المقاومة لكن لا توجد أرضية مشتركة أو فكر جامع لأنه لا توجد إدارة ولا توجد قيادة. ولا فائدة من طرح السؤال الجديد عن أسباب الإخفاق في تحقيق ما تمكنت دول أقل حضارة وثراء وتماسكاً من تحقيقه بما في ذلك نيبال النائية إذا كان الجواب هو الجواب القديم الذي يلقي معظم العرب مسؤولية هذا الإخفاق على كل من حولهم ويعفون أنفسهم من اللوم.

ولا يطالب العراقيون والعرب أميركا بما لا يحق لهم المطالبة به عندما يطالبون بانسحاب القوات الأميركية من العراق فهو احتلال استعماري فالت من القرن التاسع عشر ولا يمكن أن يعود العالم إلى الاستعمار بعد قرن من انتهائه لذا ستخسر أميركا لأنها تقف في وجه حركة التاريخ. ولا يتجنى العرب على الأميركيين إن أدانهم لاستمرار احتلال العراق وقتل أطفاله وتدمير منازلهم فأمبراطوريتهم هي إمبراطورية العنف والقسوة والتدخل بلا منازع. لكن المنطق يفترض في الوقت نفسه أن يدين العرب من استقدم الأميركيين إلى العراق ومهد لهم طريق الغزو وفتح لهم الحدود ليعبروها إلى العراق وشرعن الاحتلال.

ومن استقدمهم سوى بعض العراقيين ومن مهد لهم سوى صدام نفسه بظلمه ومعصوميته، ومن فتح للأميركيين الحدود سوى أنظمة الظلم العربية التي وضعت نفسها مع الأميركيين والليكوئيين في خندق المواجهة الواحد؟ ألم تصنع هذه الأنظمة من رجال الأعمال والأطباء والمهندسين والطلاب وأهل المساجد إرهابيين دوليين قَدَموا للأميركيين المتحالفين مع الليكوئيين الفرصة التاريخية التي كانوا ينتظرونها لإخراج الأمبراطورية من غرفة الإنعاش الاقتصادي وشن حروب البترودولار والطاقة والمدّ بعمر الأمبراطورية وقوتها لتسيطر على العالم في القرن الواحد والعشرين؟ إن العراقيين ليسوا في المكان الذي يتمنونه لكن في المكان الذي وضعتهم أميركا فيه وعلى المقاومة أن تتيح لأميركا الانسحاب عندما تتوصل واشنطن إلى اقتناع نهائي بأن وجودها غير مرغوب فيه. إن القرار النهائي بيد المقاومة لكنها يجب أن تعرف أن هزيمة أميركا لا تعني بالضرورة انتصار العراق.

لقد جعلت أميركا من الإرهاب صناعة ضخمة واستخدمته لمطاردة "الإرهابيين" و"المتشددين" إلى مكامن الطاقة ومناطق تمديد أنابيب النفط ودول الفائض المالي لكن أنظمة عربية ظالمة عدّة جعلت هي الأخرى من الإرهاب صناعة كبيرة وطريقة مجربة لصرف الأنظار عن الفساد المؤسساتي والبلطجة السياسية. فهدمت الأنظمة اللعبة فصارت تسوّق نفسها للأميركيين والأوروبيين على أنها "قلعة" لحماية أميركا وأوروبا من الإرهاب الذي ساهمت في صنعه في المكان الأول بالقمع والظلم والاضطهاد وإشاعة الفقر ومصادرة القرار وإلغاء المواطن وملاحقة النهضويين. وهكذا صار الإرهاب الذي خلقتة أنظمة الظلم العربية طريق الحصول على المساعدات والدعم العسكري والبوليسي وغض نظر الأوروبيين عما يحدث في دولها من خرق حقوق الإنسان وامتهان كرامته والسطو على مصادر البلاد لخدمة أزام السلطة وأنصارها والإمعان في الممارسات الديكتاتورية والقمع وإلغاء القوانين والتجسس على الناس واستباحة حرمانهم وتزوير الانتخابات ورمي منتقديها في السجون وتثبيت دعائم الجملكيات العربية التي تجمع أسوأ ما في الملكية والجمهورية معاً. ويعرف الشارع العربي أن هذه الأنظمة لم تكن لتقدم على هذا التخريب الواسع النطاق لولا دعم أميركا والدليل أن أكثر زعماء دول عربية وإسلامية فساداً وإفساداً مثل مصر وباكستان هم أقرب المقربين إلى أميركا.

من لا يعرف من العرب بعد لماذا انهارت الأندلس فليُنظر حوله اليوم وسيرى عوامل الانهيار نفسه. وبيننا وبين انهيار الأندلس ألف عام لكن الأسباب التي أدت إلى انهيار الأندلس هي الأسباب نفسها اليوم فليفتح العرب عيونهم ولينظروا حولهم. كان العسكر والأمراء استفردوا بالسلطة في ما بقي من أشلاء الخلافة الأموية الثانية وحكم كل واحد منهم بطائفته فُعرفوا باسم ملوك الطوائف. وكان هؤلاء الملوك ينقلون ذهب الدولة

وفضتها إلى ملوك الشمال النصارى لتسديد ثمن بقائهم فكثرت المال في يد هؤلاء الملوك وصاروا يستخدمونه لبناء الجيوش والتهديد للحصول على مزيد من المال. وأفلس ملوك الطوائف فصاروا يدفعون ثمن بقائهم بالاشتراك مع جيوش الشمال في غزو من بقي من ملوك الطوائف. وخلال ١٠٠ عام راح الثور الأبيض ثم الأسود ثم الأحمر والأشقر ثم آل كل شيء إلى ملوك الشمال، لذا فإن مسؤولية ملوك الطوائف عن انقراض واحدة من أعظم الحضارات التي عرفها تاريخ البشرية أكبر بكثير من مسؤولية ملوك الشمال النصارى، وإن لم تكن مسؤولية زعماء الظلم في عصر الأنظمة الوطنية عن تمزيق العراق تعادل مسؤولية أميركا فهي في موقع ليس ببعيد.

ومن لم ينتبه من العرب إلى التأثير الذي زرعه إعلام الأنظمة وإعلام التسطيح الفكري في عقولهم خلال السنوات العشر الماضية لن ينتبهوا إلى ما يحدث في العالم الإسلامي اليوم. إن أهم حليف لأميركا في العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ليس بريطانيا أو إسرائيل أو حلف الناتو بل السعودية التي يحاول المحافظون الجدد اختطاف قرارها الوطني والقومي والإسلامي ووضع مكائنها الإسلامية والاقتصادية المتميزة في خدمة السيطرة الأميركية. وسأضيف إلى هذه الحقيقة التي ربما استغربها البعض حقيقة أخرى هي أنه لا يوجد في هذه الأمة من المحيط إلى الخليج شعب أكثر استياءً من السياسات الأميركية وأكثر تأييداً لقضايا العرب والعروبة والإسلام من الشعب السعودي. لذا فإن هذا الشعب على رأس أهداف أميركا وإسرائيل لكن في وقت آخر. ولن يفلح جهد فتح جبهة جديدة ضد إيران المسلمة بالتعاون مع أميركا وإسرائيل في إرضاء النخبة الحاكمة في البلدين بغض النظر عن الحزب أو الأحزاب الحاكمة فيهما. وعندما يحين الوقت ستُخرج إدارة أميركية أو أخرى وكونغرس أو آخر ملف السعودية، وسيقال للأميركيين إن معظم المسؤولين عن أكبر مذبح في أميركا منذ الحرب الأهلية كانوا من السعوديين، وستستطيع بمساعدة الإعلام المتعطش للانقضاض على السعودية محو كل ما فعلته السعودية لأميركا وتصويرها أكبر عدو لأميركا خلال أقل من ثلاثة أشهر.

لا يوجد عامل واحد رفع الولايات المتحدة إلى عرش العالم النقدي وبالتالي الاقتصادي أهم من النفط العربي، ولا يوجد عامل واحد أقدر على زحزحة أميركا من عرشها من النفط العربي لا بهدف إيذاء أميركا بل لمساعدتها على الخلاص من شرورها وتلقينها أهمية احترام الشعوب والحضارات والأديان وحقوق الآخرين وخدمة العدل والديمقراطية لا خدمة الشر والظلم، ولصنع السلم لا لصنع الإرهاب. لقد قدم وجود كل هذا النفط فرصة تاريخية كانت ستمكّن العرب من قيادة العالم الإسلامي إلى تجديد الحضارة الإسلامية فقادها إلى مرحلة جديدة من الانحطاط. وبدلاً من أن يقدم العرب

للحضارتين الإسلامية والعالمية ابن خلدون الجديد وابن رشد وابن سينا قدموا لهما أسامة بن لادن والظواهري والزرقاوي وأهل المفخحات والانتحاريين والمهرة في قطع الرؤوس والتعذيب. كلنا مسؤولون عن هذا الوضع المأساوي أفراداً وأنظمة، ومثقفين وعاديين فأمل الأمة لا يكمن في منظمة "القاعدة" وما يماثلها لأنه لا يكمن في الإرهاب، وما استمرار تركيز البعض على مثل هذه المنظمات إلا دعوة مقصودة أو استغفالية لاحتلال وطن الأمة واستعبادها واستمرار الظلم والقهر والاستبداد.

إن البيعة ليست سوى صك تعاقدى بين الحاكم والشعب ولهذا سميت بالبيعة لأنها عملياً صك يبيع المحكوم بموجبه ولاءه للحاكم في مقابل تعهد الحاكم بتحسين معاشه وفتح أبواب الرزق أمامه وتمكينه من العمل والإنتاج وبناء الحضارة والمساهمة في تمويل الخزينة. ومنذ اكتشف العراق النفط في العشرينات من القرن الماضي اكتشفت الملكية في بغداد أن توافر الدخل من النفط أغناها عن الحاجة إلى الضرائب من الناس لذا لم تعد تحتاج مبايعة الناس لها لأنها اعتبرت الدخل من النفط دخلاً خصها الله بها دون غيرها من الخلق أجمعين. وكثيرون اليوم في أوساط الحكم يعتبرون الشعوب عبئاً على دخلهم من النفط، وكثيرون يعتبرون الولاء للأجنبي أرخص ثمناً من الولاء للناس. وهكذا رفع النفط الدولار ورفع الدولار القوة العسكرية الأميركية فأفسدت القوة العسكرية والدولار والجاسوسية النخبة الأميركية فأفسدت حياة مئات الملايين في معظم أنحاء العالم لأن النخبة لا تفكر كباقي الخلق، وتريد مشاركة الله في التحكم بمقادير الشعوب وثروتهم إلى آخر الزمن.

إن العالم الإسلامي اليوم في حال حراك كبير ليس ضد السيطرة العسكرية الأميركية فقط بل ضد السيطرة السياسية والاقتصادية والنقدية والثقافية. ومن يقود هذا الحراك ليس العرب بل الإندونيسيون والماليزيون والمسلمون الهنود والباكستانيون والإيرانيون الذين يسعون إلى إقامة "هلال أخضر" من باكستان وأفغانستان إلى المغرب. أين يقف عرب أنظمة الظلم؟ في الصف المقابل تماماً. لقد وضعوا النفط في الماضي القريب بيد أميركا سلاحاً تستخدمه كما تشاء، ثم وضعوا عائدات النفط (اليورودولار) بيد أميركا سلاحاً نقدياً للسيطرة على أميركا اللاتينية فأفلس من أفلس من دولها وعانى الباقي من أعباء الديون وخدمتها إلى يومنا هذا، ثم اشتروا الديون الأميركية فاستخدمتها أميركا لتمويل الحروب في العراق وأفغانستان والصومال وإفساد الأنظمة الأخرى وترتيب الانقلابات والصرف على نشاطات التجسس على العالم الذي لا يقف في صفها.

إن عرب أنظمة الظلم يقفون اليوم في المكان الذي وقفوا فيه منذ بداية السبعينات ليس لمساعدة أميركا على الخروج من العراق وأفغانستان سلماً بل لمساعدتها على البقاء، وليس لوقف جرائمها في العراق وأفغانستان والصومال بل لمساعدتها على تحقيق النصر. لهذا

وغيره يجب أن يعترف العرب بأنهم مسؤولون أيضاً، إلى جانب أنظمة الظلم والأميركيين، عن انتكاس العالم بأميركا وعن النكبة الكبرى التي حلت بالعراق وأهل العراق، وعن دفع الوطن العربي إلى زمن الشر والدموية الكبرى.

لقد مات عرب كثيرون لكي تحيا الحرية لكن معظم العرب لم يدفعوا الثمن الذي دفعه الفرنسيون والأسبان والإيرانيون في الماضي، واللاتينيون في الزمن الأقرب. الوحيدون في الوطن العربي الذين دفعوا الثمن كاملاً هم الجزائريون وإذ بنظام الظلم وإقصاء المواطن يحتطف الحرية ويسلط عليهم جنرالات فيهم من القسوة والبطش ما كان في صدام ورهطه، وبعض الجزائريين يقولون بل أكثر بكثير. ومنذ أربعينات القرن الماضي استقلت دول عربية كثيرة لكن الاستقلال لم يحمل الحرية إلى ملايين العرب وكان لملايين غيرهم مجرد وهم وصارت الهجرة حلماً لملايين آخرين. وسعت أنظمة الظلم منذ دخلت أميركا الشرق الأوسط في الخمسينات إلى إلغاء ما بقي من حرية فصار الملايين يعيشون حالة يعتبرها البعض استعماراً وطنياً يستوجب هو الآخر حركة شعبية شاملة لنيل الاستقلال من جديد يجب تأكيد طابعها السلمي والحضاري لاسترداد ما سلبته أنظمة الظلم من حقوق بدعم أميركا وأنظمة غربية أخرى لا تريد الانفكاك عن ماضيها الاستعماري مثل نظام طوني بلير في بريطانيا وفرنسا في ما يتصل بموقفها من أنظمة مغربية ولبنان.

إن التاريخ سجل أخطاء البشرية ونجاحاتها ولا توجد طريقة مجربة لقراءة المستقبل سوى قراءة الماضي. لقد حمل الأميركيون إلى العراق وأفغانستان شجاعة الجاهل بتاريخ العالم الإسلامي وحسبوا أنهم سيستطيعون تحقيق ما عجزت كل إمبراطوريات العالم عن تحقيقه منذ عهد الاسكندر المقدوني الذي حارب الأفغان في القلعة التي يحتلها الأميركيون اليوم وهي بغرام شمال كابول. ومهما طال وجود جنود أميركا في العراق فسيأتي وقت طردهم وسيتركون في العراق المذابح والدمار والتشويه التي تركها جنود صناعة الحرب والنفط السائرين دائماً تحت راية غطاء صناعة الحرية والديمقراطية في الدول التي غزوها في الماضي. لكن يجب أن يعرف الجميع أن ويلي سيحاول العودة مرة أخرى لأنه لم يتوقف عن محاولة العودة إلى العالم العربي منذ القرن التاسع عشر وسيجد الأنظمة التي استقدمته في الماضي في انتظاره. الحل الوحيد هو أن يخلق العرب ممر خبير العربي في وجه ويلي بانتزاع المفاتيح من أيدي أنظمة الظلم لأنها فشلت في حماية الوطن والأمة واستقدمت العنف والاحتلال والارهاب، وأن يفتحوا الأبواب على الدول الإسلامية الأخرى وعلى أوروبا والصين وروسيا ودول أميركا اللاتينية بإقامة دولة الديمقراطية والانفتاح والتنوير. وإلى أن يحدث هذا فإن مفاتيح ممر خبير العربي موجودة بيد الأنظمة الظالمة لا بيد برلمانات الشعوب، وما لم توقفها البرلمانات فإنها ستستقدم أميركا مرة أخرى كما استقدمتها في

الماضي ، وستوجد العذر الذي أوجده بسياستها الظالمة في الماضي ، وستدفع كثيرين إلى تصعيد العنف وتأجيج التوتر كي تستقدم أي قوة من الغرب أو الشرق أو تحالفاً بينهما فتبادله البقاء في بلاد العرب بالبقاء على عروشها.

وسيستمر الظلم لأن ضعف هذه الأنظمة سيستمر فهناك علاقة قوية بين الضعف والاستبداد في تاريخ البشرية ولا تختلف أنظمة الظلم العربية عن غيرها في طبيعة هذه العلاقة. لكن الوطن العربي يتميز بوجود أكبر عدد من الأنظمة الظالمة في العالم لذا فإن العربي المتعمّن في شعر الأُمّة وأدبها والغائص في روحها سيجدها أمة تفتخر بأنّها ولدت على صهوة الجواد ونشأت على الحرّيّة وإذ بها بعد ستة عقود من الظلم قعيدة حفر الحضارة بعدما صارت الأنظمة رواهصها. كما أن المتعمّن في حظ هذه الأُمّة العاثر سيرها كما لو أن القدر وضع كل أنظمة العالم في غربال حكمه ثم هزه هزّة عنيفاً وأفرغ ما بقي من عوائل فسقط فوق الأُمّة من الطائشين والجاهلين والولدان والمتخشّبين والبيّاعين وتلاميذ هتلر وستالين وبوش أرذل الخلق وأردأهم وأقدرهم على الظلم وامتهان الكذب وفعل الشرّ والفجعية.

مستقبل العراق

لا يرى معظم المؤرخين المختصين بالشرق الأوسط خيوط التفاؤل التي يراها ملايين العرب لذا يعتقدون أن المستقبل الوحيد الذي يتربص بالعراق هو التجزئة والانحيار ومن هؤلاء ديفيد فرومكين: "السلام الذي أنهى السلام"، فيبي مار: "تاريخ العراق الحديث"، نيل فيرغسون: "حرب العالم: تاريخ زمن الحقد" وغيرهم.^{١٦٤} والتاريخ رواية في النهاية لكن هناك فرقاً كبيراً بين المؤرخ والروائي لذا ليس من السهل دائماً معرفة رأي المؤرخ الشخصي بما يعرضه من أحداث. والدنيا لا تزال بخير كما يتضح من آراء عدد كبير من المؤرخين والمحللين الغيورين على مستقبل البشرية لكن هناك عدداً مقابلاً من المؤرخين والمحللين الذين يفرزهم انتماءؤهم الوطني أو الثقافي عن الآخرين فتقف أميركية هذا أو بريطانية ذاك أو إسرائيلية الثالث بينه وبين أداء دور المراقب المحترف عند عرض قضية مثل العراق.

ومن يردد أن أميركا بوش وبريطانيا بلير حققتا انجازات كبيرة في العراق لا يردد في الواقع سوى بيانات الترويج التي تصدرها حكومتا البلدين والسلطات العسكرية في العراق. ومن المذهل أن تشترك أغنى دولة في العالم إلى جانب دولة تعتبر من بين الأغنى في العالم (بريطانيا) في احتلال العراق ثم يدخل احتلال هذا البلد سنته الخامسة دون أن تتمكن الدولتان من إقامة مستشفى حديث أو جامعة عالمية أو مركز علمي متقدم أو مشروع تنموي كبير ناهيك عن التمكن من تقديم الخدمات الأساسية التي كان العراق

يقدمها في زمن ما قبل الاحتلال الأميركي والبريطاني. وبدلاً من الاعتراف بهذا الإخفاق المطلق نجد كتاباً كثيرين يلعبون لعبة اللوم فيحملون العراقيين مسؤولية هذا الإخفاق، ومنهم من يحاول أن يدفن هذا الإخفاق بدفن العراق كله كيلا يرى العالم هذا الإخفاق الهائل، أو إلغاء المسؤولية التاريخية عن الاحتلال بإلغاء تاريخ العراق.

لقد فككت أميركا كائناً عراقياً مشرقياً يحتوي كل تناقضات المشرق ثم أعادت بناءه بقطع من اختيارها فأنتجت فرنكشتاين الذي يعرفه الغرب جيداً. والأهم من القول إن الإخفاق الأميركي والبريطاني في العراق إخفاق في المطلق، بالإضافة بأن النخبة السياسية والثقافية الغربية تعرف أن ثمن هذا الإخفاق لم يُدفع بعد لكنه سيُدفع عاجلاً أو آجلاً وسيتمدد أجل الدفع عشرات السنين في المستقبل. ويحق لنا أن نتساءل إن كان الهدف من تحميل العراق مسؤولية إخفاق المشروع الأميركي والبريطاني في العراق التهرب من دفع ثمن الإخفاق على غرار تهرب أميركا من مسؤولية تدمير فيتنام أو التسبب بقتل نصف مليون إلى مليون شخص في إندونيسيا. وهكذا نرى أن معظم المؤلفين والمحللين يربطون تاريخ العراق السياسي بالوجود البريطاني في تلك الدولة العربية حتى نهاية الخمسينات من القرن العشرين لذا يقولون إن العراق السياسي والاجتماعي من صنع بريطانيا ولم يكن شيئاً محددًا قبل ذلك، ولا يمكن تحديد المسؤولية لكيان لم يكن محددًا قبل الاحتلال.

إن العربي لا يرى العراق بالصورة نفسها ببغداد بالنسبة لكل العرب ليست فقط عاصمة العراق الذي احتلته بريطانيا في القرن العشرين وتزعمه الرئيس صدام حسين، كما يعتقد معظم الأميركيين، بل هي عاصمة الخلافة العباسية التي تعتبر من أهم القوى التي عرفها العالم في تاريخه. ومن الطبيعي أن يحاول الأميركيون تجنّب الاتهام بأنهم لا يساهمون فقط في تدمير عاصمة صدام الذي وضعه الإعلام الأميركي في مستوى هتلر، بل في تدمير عاصمة الخلافة العباسية التي كانت عاصمة الحضارة الإنسانية في القرن التاسع الميلادي. كما أن الانتقال إلى الفترة التي سبقت العثمانيين تقود إلى الحروب الصليبية ولم يعد هذا الموضوع موضوعاً محبباً منذ أغلق المؤرخ ستيفن رانسيمن ذلك التاريخ بثلاثيته الممتعة "تاريخ الحروب الصليبية" التي كانت آخر الحروب الرومانسية الأوروبية في المشرق العربي وانتهت بإحدى أكبر الهزائم غير الرومانسية في التاريخ.¹⁶⁵

وتكشف استشارة الوثائق العثمانية أن العراق كان كياناً سياسياً وجغرافياً واجتماعياً واضحاً في معظم الفترة العثمانية تؤكد حدود واضحة مع بلاد فارس وتركيا فيما لم تكن الحدود مرسومة مع سورية والأردن والسعودية لأنها العمق العراقي الطبيعي مع بلاد العرب إلى الغرب والجنوب، ولم تُرسم الحدود الحالية إلا في عهد الاستعمارين الفرنسي والبريطاني. ومن الواضح أن نظرة العرب إلى العراق تختلف تماماً عن النظرة الغربية لأن

معظم العرب "يقفزون" فوق الحقة العثمانية. ولو سئل عرب كثيرون عن أهم تطور قبل تلك الحقبة لربما قالوا غزو المغول بغداد عام ١٢٥٨.

إن استقراء تاريخ العراق يوحي أن ما يمكن أن يحدث في العراق غير ما يتوقعه الكتاب والمحللون الغربيون إذ لا تعكس المناذاة بتقسيم العراق سوى أهداف الزعامات المتعاونة مع أميركا والتي يرتبط وجودها بوجود القوات الأميركية وقوتها بالقوة الأميركية. وسيخرج معظم هؤلاء مع القوات الأميركية ومن بقي منهم لن يستطيع المقاومة طويلاً لأن الفيتناميين الجنوبيين الذين تعاونوا مع أميركا كانوا أيضاً بمئات الألوف ثم "تبخروا" كما لو فجأة عندما خرجت القوات الأميركية ولم يبق لهم أثر بعد ذلك.

وأمركا لا تواجه حركة المقاومة في العراق فقط بل تواجه حركة التاريخ، ولم تستطع أي إمبراطورية في العالم أن تواجه حركة التاريخ، وسينطبق على أميركا ما انطبق على غيرها. ومهما طال الاحتلال الأميركي للعراق فسينتهي إلى النتيجة نفسها للأسباب نفسها. ولم يعد انهيار المشروع الأميركي في العراق محل خلاف بين محللين عسكريين كثيرين فالخلاف الآن هو في شأن توقيت هذا الانهيار. ولا ينبغي الاستخفاف بقوة أميركا لكن ما لم تستطع القوات الأميركية تحقيقه خلال أربع سنوات بوجود جيشين كبيرين من الجنود والمرتزة لن يتحقق بإضافة ألوف قليلة من الجنود.

وينسحب على إسرائيل ما ينسحب على أميركا بعدما أسقط حزب الله ثياب الأبهة من على جسد الإمبراطور الإسرائيلي الصغير في جنوب لبنان، وشاهد العالم خصيته الصغيرتين وقد انقبضتا مع انقباض قدرته السابقة على الردع. وما حققه حزب الله في جنوب لبنان معجزة عسكرية لكنها لم تحسم الصراع مع إسرائيل وتعرف تل أبيب هذا وستحاول عكس الوضع لكي تستعيد قدرتها على الردع لأن بقاءها، خارج أي جهد حقيقي لتحقيق السلام، مرتبط باثبات هذه القدرة. ولن تتضح أهمية ما أنجزه حزب الله في لبنان إلا عندما تجد إسرائيل نفسها وحيدة في الشرق الأوسط مرة أخرى بعد خروج القوة الأميركية من العالم العربي.

وماذا سيحدث إن غزت إسرائيل جنوب لبنان مرة أخرى؟ الأرجح أن تنهزم إسرائيل مرة أخرى لأنها لن تستطيع تحقيق النجاح إلا إذا بدأت اعتماد الاستراتيجية القتالية التي يعتمد عليها مقاتلو حزب الله لا الاستمرار في الاستراتيجية القائمة على الاعتماد المفرط على التقنية وكثافة النيران. ولن تستطيع أن تفعل ذلك بسهولة لأن مقاتلي حزب الله أقدر من الإسرائيليين على التضحية بالنفس وأقوى إرادة وتصميماً على القتال لأنهم يعرفون أن مكانة الشيعة في لبنان تعتمد إلى حد كبير على صمودهم، ولأنهم يعرفون أن الشارع العربي والإسلامي معهم.

وكما ظنت أميركا أن مفتاح السيطرة على الشرق الأوسط العربي هو السيطرة على العراق، فإنها ظنت أيضاً أن السيطرة على الشرق الأوسط العربي هو مفتاح السيطرة على العالم الإسلامي الغني بالنفط والغاز والأسواق الاستهلاكية الهائلة. وزعزعت أميركا استقرار العالم الإسلامي لكنها لا تعرف كيف ستعيد إليه هذا الاستقرار ولذا فإنها تؤجج الحرائق هنا وهناك على النار تلتهم هذه المنطقة ومن فيها فيوفر عليها اللهب عناء إيجاد الحل. وعاجلاً أو آجلاً ستكتشف والأنظمة المتعاونة معها أنها باتت وسط دائرة النار وانسد عليها طريق الخروج. إن الاضطراب السياسي في دولة إسلامية كبيرة مثل باكستان بحدة الاضطراب العسكري الموجود في العراق لكن باكستان دولة نووية تستطيع إنتاج ١٠-١٥ قنبلة نووية في العام. ويعرف الجنرال الانقلابي برويز مشرف أن الإسلاميين غير راضين عن علاقته بأميركا لذا يحاول بتأييد إدارة بوش الهرب من ضغطهم بتسليط الشرطة والمخابرات على معارضيه أو بفصلهم من أعمالهم وبالرشوة وبافتعال الفوضى وشق الصفوف وكبت الحريات وغير ذلك مما يتقنه كي يعود رئيساً وقائداً للجيش مرة أخرى.

وخارج باكستان اكتشف المظلومون بعد ٦٠ سنة من التدخل الأميركي أن الطريقة الوحيدة لوقف العنف الأميركي هي تخصيص الكيلوغرامات العشرة من اليورانيوم اللازمة لصنع قنبلة نووية. وأثبتت كوريا الشمالية صواب هذا الرأي ونجاعة هذا الحل لذا تخفي الهستريا الأميركية المسطرة على إيران سهولة انتقال تقنيات صناعة الأسلحة النووية وحقيقة امتلاك إسرائيل الأسلحة النووية في الوقت نفسه، لكن الشرق الأوسط يسير في هذا الاتجاه لأن أميركا وضعته في هذا الاتجاه. ولا يخاف الأميركيون شيئاً أكثر من خوفهم من أن يستهدفهم أحد بمثل ما استهدفوا به هيروشيما وناغازاكي. أما حل التسابق الجديد على اقتناء الأسلحة النووية فهو في يد أميركا نفسها. وعندما توقع أميركا على اتفاقية حظر تجارب الأسلحة النووية فستلحقها الصين ثم الهند ثم باكستان ثم إيران لذا يجب أن تلوم أميركا نفسها على سباق التسلح النووي الجديد لأن سياساتها أجبرت الدول الأخرى على تطوير الأسلحة النووية لحماية نفسها من هيمنة أميركا.

وتوقعت أميركا أن تبدأ قواتها الانسحاب من العراق عام ٢٠٠٧ لكنها في وضع معاكس. وكانت تتوقع أن تبدأ مرحلة القطاف بعد استتباب الاحتلال لكنها في وضع معاكس. وعرضنا في صفحات سابقة عدداً مهماً من الأهداف الدولارية والنفطية والاقتصادية التي رمت أميركا إلى تحقيقها فلم تحقق هدفاً واحداً على رغم التضحية بمئات الألوف من العراقيين وثلاثة آلاف أميركي ومئات المليارات من الدولارات لإنجاح المشروع الذي كان أمل أميركا الأخير في الاستمرار قطباً أوحد في العالم. والفضل في هذا للمقاومة العراقية وللشارع العربي الذي وقف بغالبيته وقفه حاسمة ضد الغزو فلم تشعر المقاومة

العراقية يوماً أنها وحيدة في هذا الصراع المصري، واعتذرت في الحالات الأكبر عن قبول المتطوعين العرب الذين هبوا لنصرة العراق من المغرب إلى السعودية.

ودعيت في أكتوبر ٢٠٠٦ لإلقاء محاضرة أمام اتحاد طلاب كليات الحقوق في الاتحاد الأوروبي عن التعاون بين أوروبا والعرب بمناسبة مرور ١٠ سنوات على إعلان "برشلونة" واستخدمت في المحاضرة تعبير "الشارع العربي".^{١٦٦} وخلال المناقشة التي دارت بعد ذلك سألني أحد المشاركين ما الذي أقصده بالضبط بمفهوم "الشارع العربي". وقلت إن "الشارع العربي" ليس المرادف الدقيق لمفهوم "الرأي العام" في الدول الأوروبية بل المرادف الأدق لمفهوم "المعارضة" في الدول الديمقراطية، إلا أنها أشمل وأوسع نطاقاً بكثير في الدول العربية غير الديمقراطية من أي معارضة في الدول الديمقراطية. ولا يمكن فهم القوة الهائلة التي يتمتع بها الشارع العربي بالسؤال عما يستطيع الشارع العربي القيام به لمنع الأنظمة من تحقيق كل ما تريد تحقيقه بل بالقيود التي يفرضها الشارع العربي على الأنظمة من خلال حجب تأييده لها ومراقبتها وانتقادها الدائم والاستخفاف بها وعرقلة تنفيذ قراراتها والسخرية من النظام وقادته ووصفهم بالعمالة وخدمة الأجنبي والفساد وانعدام الأخلاق بهدف نهائي هو حرمانهم من الصدقية وإحباط مساعيهم وتحميلهم المسؤولية عن بيع قضايا الشعوب والأمة.

وتعرف الأنظمة ما حدث للعروش في القاهرة وطهران ودمشق وطرابلس الغرب وأديس أبابا بعد الإخفاق في حماية أوطانها من ظلم دول الاستعمار القديم. وتعتقد أنظمة كثيرة أن الانتقال من القصر إلى القبر ربما لن يكون طبيعياً لذا فهي قلقة لأن أميركا قلقة ولأن إسرائيل قلقة. لكن الأنظمة لا تفكر إلا ببقائها، وستهرب من وضع الضعف الذي تجد نفسها فيه إلى وضع القوة أياً كان مصدره، وستتخلى عن تحالفات قديمة لصالح تحالفات جديدة ناهضة، وستجد أميركا في النهاية عبئاً لا يطاق لأنها لا تستطيع أن تقدم لأميركا الشيء الوحيد الذي تريده وهو الجيوش التي تقاوم لبقاء أميركا. ويمكن لبعض هذه الدول تقديم مليارات الدولارات، ويمكن أن تضع إعلامها في خدمة بقاء أميركا لكن حتى أقربها إلى واشنطن لا يستطيع وضع فصيلة واحدة إلى جانب القوات الأميركية في أي مكان في بلاد العرب. ليس لأنها لا تريد أن تضع كل قواتها في خدمة أميركا بل لأن الشارع العربي لن يسمح لها بذلك. إن الطاقة الكامنة في الشارع العربي هي اللافعل الشعبي الذي يفل عزم الفعل الحكومي ويمنعه من التحقق كاملاً.

وعاجلاً أو آجلاً، والأرجح آجلاً، ستتحول الولايات المتحدة التي ضمنت بقاء معظم هذه الأنظمة منذ منتصف الخمسينات لكي تضمن بقاءها، إلى أكبر خطر يتهدها لأن السفينة تغرق بمن عليها من الفران، وستخذلها أميركا كما خذلت نيغوين فان ثيو في

فيتنام والشاه في إيران والأكراد في شمال العراق ويبدو كرمونا في فنزويلا. وسئل نابليون مرة عن الخصال التي يفتش عنها عند اختيار جنرالاته فقال: "واحدة فقط - أن يكون الحظ إلى جانبهم." وتحدثنا عن المقاومة والشارع العربي لكن لا بدّ من الاستنتاج بأن الرئيس بوش لم يكن محظوظاً. وهناك أمثلة كثيرة على ذلك لعل أغربها ما حدث في روسيا. وأشرنا سابقاً إلى أن الاستراتيجية النهائية التي كانت ستضع أميركا على عرش العالم إلى ما لا نهاية هي تدمير القوة النووية الروسية لكن حدث ما لم يكن في حساب بوش على الإطلاق كما بين ف. وليام إنغدال مؤلف كتاب "قرن من الحرب: سياسة النفط الأميركية البريطانية والنظام الدولي الجديد"^{١٧} في دراسة نشرها في صحيفة آسيا تايمز (٢٠٠٧/٢/١) اقتطعها من كتاب جديد اسمه "بذور الهلاك": "من سخرية الأقدار أن يؤدي ارتفاع سعر النفط نتيجة عشر الحرب في العراق بعد عام ٢٠٠٣ إلى تمكين روسيا من بداية عملها الصعب لإعادة بناء اقتصادها وقدراتها العسكرية المنهارين. وروسيا في عهد بوتين لم تعد الدولة العظمى التي كانت تعيش في الماضي على إفقار جيرانها فهي تستخدم سلاحها النفطي وتعيد بناء قوتها النووية. أما بوش أميركا فهي دولة خاوية على عروشها ومنكوبة باقتصاد تعشش فيه الديون تنهك في استخدام ورقتها الأخيرة وهي قوتها العسكرية الكبيرة لدعم الدولار ودعم دورها باعتبارها قطباً أوحدهم في العالم."

وسألني صديق ونحن في دبي لحضور قمة إعلامية عن رأيي في نتائج الحرب في العراق ولم تكن بدأت بعد فقلت إن أهم عدو للرئيس بوش في العراق سيكون "قانون مورفي". وكان يعرف قانون مورفي فضحك لغرابة هذا القانون الأميركي ومفاده: إذا توافرت أي فرصة على الإطلاق لوقوع خطأ ما فسيقع لا محالة. أي إذا وقع فنجان القهوة من يدك فسيقع على القطة وستقفز بعيداً فتدخل في فوهة الغسالة فتغلق وتبدأ الغسالة الدوران على الفور. وهناك تفسير آخر فالبوابة البابلية ليست في الواقع بوابة العراق فقط بل بوابة أكبر بكثير لأن "بابل" تعني "باب إله"، أي بوابة الله.

لقد استعرضت والقارئ بعض أوجه التماثل بين حرب العراق والحرب في فيتنام واقترحت أن الاختلاف بين الحربين أكبر بكثير من التماثل، لكن الاختلاف هائل في حال المقارنة بين مضاعفات الحربين. ولأن الولايات المتحدة دولة عظمى فإن مضاعفات الفشل في العراق على قدر عظمة الولايات المتحدة. ولأن انتشارها العسكري والاقتصادي عولمي، فإن المضاعفات ستكون عولمية، ولأن تحقيق النصر في الحرب العراقية كان الحبة الوحيدة التي كانت ستساعد أميركا على الشفاء من آلام الدولار والطاقة وأسطورية الديون والعجز في ميزان المدفوعات فإن الفشل في ابتلاع العراق سيسرع مضاعفات كل هذه الآلام.

وفي العراق حرب جارية لذا سنتفادى التنجيم وسنتبع نصيحة ماكيافيللي فنحاول استشراف المستقبل القريب باستشارة الماضي. ومنذ ٥٠ سنة أيقن أنطوني إيدن أن بريطانيا لا تستطيع الخروج من مصر والبقاء في الشرق الأوسط ونحسب أن الرئيس بوش يعرف الآن أن أميركا لا تستطيع الخروج من العراق مطرودة وتبقى في الشرق الأوسط. إلا أننا نحسب أيضاً أن بوش يعرف نتيجة أخطر عرفها هارولد ماكميلان خليفة إيدن قبله وأخفاها عن البريطانيين كي لا يثير فيهم الذعر وهي أن بلادهم لا تستطيع أن تخرج من الشرق الأوسط وتبقى دولة عظمى. لقد اعتبرت أميركا نفسها حامية السلام في العالم وانتقلت الجيوش والأساطيل الأميركية من ساحات القتال في ألمانيا واليابان إلى ساحات القتال في كوريا وفيتنام والعراق وأفغانستان ثم العراق مرة أخرى فالصومال ولم تترك وراءها سوى المذابح والدموع والدمار والفوضى لذا فإنها أمّ المشاكل التي تواجه العالم الإسلامي اليوم: ”قادة أميركا لم يُحلّوا السلام والأمن في أميركا أو الاستقرار في الخارج بل العكس لأن تدخلاتهم أنتجت عكس ما استهدفت تحقيقه وتحولت السياسة الأميركية إلى كارثة. إن أحوال الأميركيين والشعوب التي استهدفتها جهود الإدارات الأميركية ستكون أفضل بكثير لو لم تفعل الولايات المتحدة شيئاً فتغلق قواعدها في الخارج وتسحب أساطيلها من كل مكان وتترك للعالم خيار إيجاد الطريق الذي يناسبه.“^{١٦٨}

هذه نصيحة قيمة من مفكر يعرف ما فعلته أميركا في العالم هو البروفيسور غبريل كولكو لكن أميركا لن تعمل بهذه النصيحة. إن احتلال العراق جزء أساسي من استمرار السيطرة الأميركية على الطاقة. ويعرف الأميركيون ذلك ومنهم بوب هربرت الذي كتب في صحيفة نيويورك تايمز في ٢٨ يوليو ٢٠٠٥: ”أحلام الأباطورية لا تموت بسهولة. الجنود الأميركيون حفروا خنادقهم في العراق وستبقى القواعد الأميركية التي بُنيت في العراق طويلاً... سيبقى الجنود الأميركيون في العراق خمس سنوات أخرى وربما عشر ويجب أن يفهم ذلك كل من يعتقد أن تشكيل الحكومة العراقية الدائمة سيؤدي إلى انسحاب القوات العراقية. لا توجد خطة حقيقية للانسحاب. سيستمر القتال والموت إلى ما لانهاية.“^{١٦٩}

إذا استبعد القارئ حدوث هذا فلعله نسي ويولي ساتون؟ ويولي قصد العراق عام ١٩٩١ ثم عاد إليه عام ٢٠٠٣ بخطة اعتقد أنها قابلة للنجاح. وسيحاول ويولي العودة إلى العراق بعد خروجه منه للسبب نفسه الذي أعاد ويولي إلى المصارف مرة بعد أخرى. لا يوجد أمل بولي أيها العرب. لا يوجد فرق كبير بين رئيس ورئيس وحزب وحزب فكلما الحزبين الجمهوري والديمقراطي يريدان إبقاء هيمنة أميركا على العالم بغض النظر عما يحدث للشعوب، وكلاهما يريدان استمرار احتلال العراق إن كان ذلك ممكناً لأنهما فردتا الحذاء الواحد في قدمي الأباطورية الواحدة حتى لو كانت الواحدة حمراء والثانية زرقاء.

ويلي ليس القلق الوحيد من مواجهة مقاومة مشاريعه في العراق وباقي العالم الإسلامي. توجد في أوروبا شريحة سياسية أطلسية تتركز في بريطانيا وفرنسا انضمت إليهما شريحة ألمانية في عهد أنغيلا ميركل لأسباب مختلفة لكنها كلها قلقة أيضاً من هذه المقاومة. لقد اعتادت طوال أكثر من ١٠٠ عام على عبور حدود الدول العربية وحدود كثير من الدول الإسلامية والدول النامية الأخرى في الوقت الذي تريده، وهي قلقة جداً من ارتفاع جدار المقاومة بينها وبين ما اعتبرته الساحة الطبيعية لمجالها الحيوي في الدول الأخرى. لكن هذا ليس السبب الوحيد. بعض هؤلاء قلقون من انتشار الإسلام في أوروبا، وبعضهم يكرر المخاوف التي أثارها الكاتب الكندي مارك ستاين في كتاب: ”أميركا وحيدة: نهاية العالم الذي نعرفه“ يتوقع فيه نشوء كيان عالمي جديد أسماه ”يورابيا“ (Eurabia).^{١٧٠}

إن خسارة أميركا في العراق ليست خسارة أميركية فقط بل خسارة لحكومات غربية عدّة تعتبر نفسها من الدول الكبرى لذا تحاول بالنحنحة المرتفعة إغراق صوت صعوبة بلع المآزق الأميركي في العراق والمآزق الإسرائيلي في جنوب لبنان. بليز سابق بوش إلى العراق لكي يعترف العالم ببريطانيا دولة عظمى ثم سابق بوش للخروج من العراق لأنه اقتنع بعد أربع سنوات من الفشل أنه لن يستطيع بعث رميم الأمبراطورية البريطانية. وما أرادته بليز غير ما أرادته معظم البريطانيين لكن حكومة بليز وغيره تعلمت من بوش كيف تحني هامتها للناخب قبل أن تصل إلى الحكم، وكيف ترفع له إصبعها بعد وصولها.

ومن الواضح الآن أن الملايين الذين خرجوا إلى الشوارع لوقف الحرب على العراق كانوا يعرفون شيئاً لا تعرفه الحكومات التي أيدت الغزو. لذا يتساءل المرء إن كانوا بتظاهراتهم ودّعوا مرحلة كاملة من التاريخ الحديث أم استقبلوا مرحلة جديدة من المخاطر والقلق والغموض؟ لا يمكن أن يحدث في العراق ما حدث ثم يتصوّر العالم أنه يستطيع أخيراً أن ينعم براحة البال وستعود الأمور إلى ما كانت عليه قبل احتلال العراق وسيجدد السعي للتوصل إلى سلام. لن يحدث شيء مثل هذا لفترة طويلة، وعلى العرب أن يعرفوا هذا جيداً لأن أنظمة الظلم التي دعمت احتلال العراق تعرف هذا جيداً لذا فإنها تستعد لمرحلة عاصفة من خلال تغيير القوانين بهدف إلغاء حقوق المواطن وإنفاق المليارات على توسيع السجون وأجهزة المخابرات وشراء أدوات القمع المتطورة. ومعظم هذه الأنظمة يتمنى الآن لو لم يشترك مع أميركا في تمزيق العراق وأهل العراق، ولو كان صدام بقي في العراق إذ كان شوكة في جنب أنظمة كثيرة وشوكة في جنب العراق نفسه لكنه كان شوكة خامدة، وكان المستقبل واضحاً. وانتهى كل هذا الآن، أو معظمه، ودفع العراق الثمن كاملاً ونأمل ألا يدفع المزيد في المستقبل لكن دور الآخرين في السداد لم يبدأ بعد.

ويلي سيرحل مثلما رحل غيره لذا لا خوف. وعندما يرحل فسيرحل معه القتل

والإرهاب والظلم لأن الاحتلال عزز الثلاثة معاً، وستحسن فرص إحلال الديمقراطية التي تناسب العرب لأن السياسة الخارجية الأميركية تريد استمرار الظلم والاستبداد والفوضى في الوطن العربي لكي يستمر التدخل الأميركي، لذا لا خوف. لا خوف في الواقع إلا في حلف الخوف الذي تقوده أميركا الخائفة على مصيرها وهو حلف ديناصورى هامشي معزول لا يتمتع بأي نوع من شرعية الحكم ولا يحظى بأي تأييد شعبي أو اعتراف جماهيري لذا فمصيره هو مصير كل الديناصورات التي بادت. ويحاول من يقف على رأس بعض تلك الأنظمة إيهام الشعب والأمة أنه يسيطر على كل شيء في النظام الذي يقوده لكن الواقع غير هذا. لا يوجد موقف واحد من أي موقف مهم واحد في أي نظام عربي، ولا يوجد مركز قوة واحد لذا فأقواه ضعيف، وضعيفه لن يحتمل الهزات القادمة، لذا لا خوف.

لن ينخدع الناس بهستريا أنظمة الظلم التي تريد صنع ببيع مخيف جديد هو الشيعة. كل أنظمة الظلم في بلاد العرب وأميركا وبريطانيا لجأت إلى الخوف لأنه أقوى العواطف لكن الخوف معظمه وهم وقليله التجربة، ولا يعرف العرب تجربة أشرس من الحرب في العراق والحرب في فلسطين. ولا يريد حلف الخوف أن تتوقف الحربان لذا وقعت مهمة تحديد برنامج لانسحاب القوات الأميركية من العراق لا على الأنظمة العربية بل على الحزب الديمقراطي الأميركي.

لقد جربت بريطانيا العودة إلى مصر عام ١٩٥٦ فخسرت، وحاولت فرنسا التثبيت بالجزائر فخسرت، ووضعت أميركا قدميها في لبنان مرتين منذ عام ١٩٥٨ فخسرت أيضاً وانسحب المارينز إلى سفنها الراسية قبالة بيروت ومثلها شقيقتها الصغرى إسرائيل التي أدماها احتلال الجنوب فانسحبت عام ٢٠٠٠ بعد احتلال استمر ٢٢ عاماً. وخلال ٦٠ عاماً أنفقت أميركا على إسرائيل ما يمكن أن يصل إلى ٢٠٠ مليار دولار واعتبرت هذا الإنفاق استثماراً كبيراً لأنها كانت ستحتاج إسرائيل يوماً لأمر خطير. وعندما جاء ذلك اليوم لم تستطع إسرائيل تلبية الطلب الأميركي بالقضاء على حزب الله فارتدت القوات الإسرائيلية على أعقابها في جنوب لبنان وبدأت بعض الكتائب الإسرائيلية الانسحاب قبل دخول وقف إطلاق النار حيز التنفيذ.

لقد انتهت ٦٠ عاماً من التدخل الأميركي والانتهازية الغربية والطموح الأمبراطوري في الوطن العربي بفشل كبير، واعترف بعض أهم مؤيدي الحرب في العراق مثل وزير الخارجية الأميركية السابق هنري كيسنجر أن تحقيق النصر الأميركي في العراق مستحيل لأنه لا يوجد على رأس المقاومة العراقية زعيم واحد وحيد تستطيع أميركا قتله أو شراءه. وهكذا صار ضعف تفرق الكلمة والقرار في حروب أخرى مصدر قوة كبيرة في العراق لذا

لا خوف في الواقع على مستقبل العراق ولا على مستقبل الأمة ولا على مستقبل الإسلام ويجب أن يفكر العرب والمسلمون بحكمة القوي لا بعصبيّة الضعيف. وإن تذكروا ضعفهم فيجب أن يتذكروا قوتهم في الوقت نفسه.

إنّ بقاء القوات الأميركية في العراق أو رحيلها بيد المقاومة لا بيد أميركا وعودة ويّلي أو عدمها قرار المقاومة لا قراره. ويعرف ويّلي هذا جيداً وسينتظر من أنظمة الظلم العربي أن تفتح له الأبواب مرة أخرى لكنه سيندحر مرة أخرى. لم يأت أحد إلى العالم العربي منذ القرن الحادي عشر إلا اندحر في كل مرة، وسيكتشف ما اكتشفه شيخ المحافظين الأميركيين باتريك بوكانان المرشح السابق لرئاسة الجمهورية أن الإسلام لن يقبل أن تملّي عليه أميركا أو غيرها المصير الذي تختاره له، وسينتهي مشروعها إلى ما انتهت إليه كل المشاريع المشابهة في الماضي :

”باعتلاء المكارثية الديماغوجية الأميركية عرش الوصاية على العراق سيصل المفهوم الأميركي للإسلام إلى نقطة الذروة، ثم سيبدأ الانحسار لأن الجهد الوحيد الذي تُبدع فيه الشعوب الإسلامية هو طرد القوى الإمبريالية بالإرهاب وبحرب العصابات. لقد طردوا البريطانيين من فلسطين وعدن، وطردوا الفرنسيين من الجزائر، وطردوا الروس من أفغانستان، وطردوا الأميركيين من الصومال وبيروت، وطردوا الإسرائيليين من لبنان.“^{١٧١}



المصادر والمراجع

- ١ <http://www.whitehouse.gov/news/releases/٢٠٠٧/٠١/٢٠٠٧٠١١٠٧.html>
- ٢ Noam Chomsky, *Hegemony or Survival: America's Quest for Global Dominance*, (Penguin, ٢٠٠٣) p. ٩
- ٣ صحيفة آسيا تايمز، ١١/٤/٢٠٠٢
- ٤ William Clark, *Petrodollar Warfare: Oil, Iraq and the Future of the Dollar*, (New Society Publishers, ٢٠٠٥)
- ٥ <http://www.ratical.org/ratville/CAH/RRIraqWar.html>
- ٦ http://www.blackcommentator.com/٣٠/٣٠_analysis.html
- ٧ William Blum, *Killing Hope: US Military & CIA Interventions since World War II*, (Zed Books, London, ٢٠٠٣) p. ٣٨٣
- ٨ Noam Chomsky, *Hegemony or Survival: America's Quest for Global Dominance*, (Penguin, ٢٠٠٣) p. ١٦٢
- ٩ انظر في المصدر قبل السابق القسم الخاص بإيطاليا (الصفحات ٢٧-٣٤)، والقسم الخاص بمحاولة الانقلاب في سورية (الصفحات ٨٤-٨٩) وفيها إشارة إلى عرض أميركا تقديم ٣٠٠-٤٠٠ مليون دولار في حال نجاح الانقلاب والتوصل إلى سلام مع إسرائيل.
- ١٠ Noam Chomsky, *Hegemony or Survival: America's Quest for Global Dominance*, (Penguin, ٢٠٠٣) p. ٤
- ١١ انظر تقرير الاسوشيتدبرس بقلم آن فلارتي، ١٢/٢/٢٠٠٧
- ١٢ http://www.globalsecurity.org/military/ops/iraq_orbat_coalition.htm
- ١٣ <http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/٢٠٠٦/١٢/١٧/AR٢٠٠٦١٢١٧٠٠٤٩٤.html>
- ١٤ http://www.elpais.com/articulo/opinion/Aniversario/elpepuint/٢٠٠٧٠٣٢٠/elpepiopi_١٦/Tes
- ١٥ رويترز، ١٨/١/٢٠٠٧
- ١٦ William Blum, *Killing Hope: US Military & CIA Interventions since World War II*, (Zed Books, London, ٢٠٠٣) pp. ٢٣٤-٢٣٥, ٣٥٣-٣٥٤, ٣٦٦-٣٦٧
- ١٧ <http://www.theonion.com/content/node/٥٦٦٢٨>
- ١٨ انظر سفر التكوين (١٥/١٨): "في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام (ابراهيم) ميثاقاً قاتلاً: «لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات. ١٩ القينيين والقنزيين والقدمونيين ٢٠ والحثيين والفرزيين والرفائيين ٢١ والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين»، وانظر سفر التثنية (١١/٢٤) «كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان. من النهر، نهر الفرات، إلى البحر الغربي يكون ثخمكم. ٢٥ لا يقف إنسان في وجهكم. الرب إلهكم يجعل حشيتكم ورعيتكم على كل الأرض التي تدسونها كما كلمكم».
- ١٩ <http://www.haaretz.com/hasen/spages/٨١١٠٥٥.html>
- ٢٠ انظر الفروق بين هذه التعابير في مقال نشرته صحيفة كريستيان ساينس مونيتور في ٧/٢/٢٠٠٧:
<http://www.csmonitor.com/٢٠٠٧/٠٢/٢٠/p٠٩s٠٢-coop.html>
- ٢١ <http://www.monthlyreview.org/٠٣٠٢editr.htm>
- ٢٢ Chalmers Johnson, *Nemesis: The Last Days of the American Republic* (Metropolitan Books, ٢٠٠٧)
- ٢٣ <http://www.alternet.org/story/٤٧٩٩٨>
- ٢٤ <http://www.whitehouse.gov/stateoftheunion/٢٠٠٦/index.html>
- ٢٥ إشارة إلى الاستسلام غير المشروط الذي أقرته اليابان (٢/٩/١٩٤٥) على متن البارجة ميزوري التي كانت راسية آنذاك في ميناء طوكيو.
- ٢٦ <http://www.whitehouse.gov/news/releases/٢٠٠٧/٠١/٢٠٠٧٠١١٠٧.html>
- ٢٧ <http://www.globalsecurity.org/military/ops/iran-strikes-٢٠٠٥.html>

- ٢٨ <http://www.counterpunch.org/petras١٢٢٤٢٠٠٠.html>
- ٢٩ <http://www.counterpunch.org/christison١٢٢٩٢٠٠٠.html>
- ٣٠ <http://www.whitehouse.gov/news/releases/٢٠٠٥/٠٤/٢٠٠٥٠٤١١٠٥.html#٣>
- ٣١ <http://www.globalresearch.ca/index.php?context=viewArticle&code=CH٢٠٠٦٠١٠٣&articleId=١٧١٤>
- ٣٢ المصدر أعلاه.
- ٣٣ <http://www.mideastweb.org/log/archives/٠٠٠٠٠٤٩٩.htm>
- ٣٤ <http://www.counterpunch.org/kolko٠٢١٠٢٠٠٧.html>
- ٣٥ Michael Klare, *Resource Wars: The New Landscape of Global Conflict*, (Owl Books, ٢٠٠٢), *Blood and Oil: The Dangers and Consequences of America's Growing Dependency on Imported Petroleum*, (Metropolitan Books, ٢٠٠٤)
- ٣٦ انظر عرضاً لإحدى محاضرات البروفيسور كبير في الموقع الآتي:
<http://uk.theoil Drum.com/story/٢٠٠٦/١١/٢/١٧٨٩/٦٦٤٢٦>
- ٣٧ Kevin J. Clancy, Peter C. Krieg, *Counter-Intuitive Marketing*, (The Free Press, ٢٠٠٠) pp. ٧٥-٧٦
- ٣٨ <http://www.whitehouse.gov/news/releases/٢٠٠٧/٠١/٢٠٠٧٠١١٠٠٧.html>
- ٣٩ رويترز، ٢٠٠٧/٢/٢٥
- ٤٠ واشنطن بوست، ٢٠٠٦/١١/٣٠
- ٤١ William Blum, *Freeing the World to Death*, (Common Courage Press, ٢٠٠٥) pp. ٨٩-٩١.
- ٤٢ Noam Chomsky, *Hegemony or Survival: America's Quest for Global Dominance*, (Penguin, ٢٠٠٣) pp. ١٠٩-١١٠.
- ٤٣ Bernard Lewis, *What Went Wrong? Western Impact and Middle Eastern Response*, (Phoenix, ٢٠٠٢) pp. ١٧٦-١٧٨.
- ٤٤ Elliot Abrams, John Bolton, Douglas Feith, William Kristol, Bernard Lewis, Donald Rumsfeld, Richard Perle, Paul Wolfowitz etc.
- ٤٥ http://www.aish.com/jewishissues/middleeast/Bernard_Lewis_Unplugged.asp
- ٤٦ <http://ksnotes١.harvard.edu/Research/wpaper.nsf/rwp/RWP٠٦-٠١١>
- ٤٧ http://old.amin.org/eng/edward_said/٢٠٠٣/aug٠٦.html
- ٤٨ http://web.reed.edu/news_center/press_releases/٢٠٠٦-٢٠٠٧/٠٤٢٧٠٦carnegiescholar.html
- ٤٩ <http://www.counterpunch.org/said٠١٢٥٢٠٠٢.html>
- ٥٠ <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/٤٦B٢٥٧CB٦FEC-٤B١F-٩١١١-FB٩٢٩٩٦٤٦B٣.htm>
- ٥١ <http://www.commentarymagazine.com/cm/main/mainHome.aip>
- ٥٢ رويترز، ٢٠٠٧/٣/٢١
- ٥٣ انظر شهادة بريزنسكي أمام مجلس الشيوخ بتاريخ ٢٠٠٧/٢/١ في:
<http://www.senate.gov/~foreign/testimony/٢٠٠٧/BrzezinskiTestimony٠٧٠٢٠١>
- ٥٤ الاسوشيتدبرس، ٢٠٠٧/٢/١٦
- ٥٥ William Blum, *Rogue State*, (Zed books, London, ٢٠٠٦) p. ١٢٣
- ٥٦ http://www.fromthewilderness.com/free/ww٣/٠٦١٢٠٣_simmons.html
- ٥٧ http://mccain.senate.gov/press_office/view_article.cfm?id=٣٩٧
- ٥٨ Michael Parenti, *The Anti- Communist Impulse* (Random House, New York, ١٩٦٩) p. ٤
- ٥٩ رويترز، ٢٠٠٧/٢/١٧
- ٦٠ Christopher Andrew, *For the President's Eyes Only: Secret Intelligence and the American Presidency from Washington to Bush*, (Harper Perennial, ١٩٩٦) p. ٢٣٦
- انظر أيضاً:
Mark Curtis, *Web of Deceit: Britain's Real Role in the World*, (Vintage, ٢٠٠٣) p. ٢٨٣
- ٦١ "رؤيتي: التحديات في سباق التميز"، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ٢٠٠٦)، ص ٧٣.

٦٢ انظر خلفيات هذه المساعدة ونوعها في "تاريخ الظلم العربي في عهد الأنظمة الوطنية"، عادل سعيد بشتاوي،

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (٢٠٠٥)، الصفحات ٩٠-١٠٦.

٦٣ "C'est l'Europe, depuis l'Atlantique jusqu'à l'Oural, c'est tout l'Europe, qui décidera du destin du monde."

٦٤ Bernard Lewis, *What Went Wrong? Western Impact and Middle Eastern Response*, (Phoenix, ٢٠٠٢) p. ١٧٧.

٦٥ http://www.forbes.com/businessinthebeltway/٢٠٠٦/٠٥/٠١/oil-energy-production-cx_jh_٠٥٠١energy.html

٦٦ Greg Palast, *The Best Democracy Money Can Buy*, (Constable & Robinson Ltd., London, ٢٠٠٣) p. ١٩٤.

٦٧ انظر قصة الانقلاب في: "تاريخ الظلم العربي في عصر الأنظمة الوطنية"، عادل سعيد بشتاوي (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (٢٠٠٥)، الصفحات ١٣٦-١٤٣).

٦٨ http://www.nioc.com/brief_history/page^8.html

٦٩ <http://patrioticpulse.org/content/view/١٥٣٧>

٧٠ <http://www.eia.doe.gov/oiaf/ieo/oil.html>

٧١ http://www.export.gov/Iraq/pdf/iraq_oil_٠٤٠٦.pdf

٧٢ <http://peakenergy.blogspot.com/٢٠٠٥/٠٨/greatest-prize-of-all.html>

٧٣ <http://www.silverbearcafe.com/private/chokepoints.html>

٧٤ http://www.agiweb.org/geotimes/oct٠٣/feature_oil.html

٧٥ <http://www.guardian.co.uk/Iraq/Story/٠٢٧٦٣٠٩٤٠٢٥٠٠٠.html>

٧٦

<http://www.mfa.gov.il/mfa/peace/٢٠٠٥/process/guide/٢٠٠٥/to/٢٠٠٥/the/٢٠٠٥/peace/٢٠٠٥/process/memorandum/٢٠٠٥/of/٢٠٠٥/agreement/٢٠٠٥/between/٢٠٠٥/the/٢٠٠٥/governments/٢٠٠٥/of>

٧٧ <http://www.globalresearch.ca/articles/JDW٣٠٤A.html>

٧٨ http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/٢٠٠٦/٠٩/١٠/AR٢٠٠٦٠٩١٠٠١٢٠٤_pf.html

٧٩ <http://www.forecasts.org/oil.html>

٨٠ <http://www.spr.doe.gov/dir/dir.html>

٨١ http://www.federalreserve.gov/releases/H١٠/hist/dat٠٠_eu.tx

٨٢ http://www.fromthewilderness.com/free/ww٣/٠٦١٢٠٣_simmons.html

٨٣ <http://www.nrdc.org/air/energy/taskforce/tfinx.asp>

٨٤ Matthew R. Simmons, *Twilight in the Desert: The Coming Saudi Oil Shock and the World Economy*, (Wiley, USA, ٢٠٠٥), p. ٣٨٤

٨٥ http://www.atimes.com/atimes/Middle_East/IB٢٢Ak٠٥.html

٨٦ http://www.gold.org/value/reserve_asset/gold_as/background.html

٨٧ وهي: ستاندر أويل أوف نيو جيرسي (اكسون ثم اكسون موبيل لاحقاً)، رويال الهولندية (انغلو دتتش)، شركة النفط الانكليزية-الفارسية (انغلو - إيران ثم بريتش بتروليوم ثم بريتش بتروليوم أموكو لاحقاً)، ستاندر أويل أوف نيويورك (سوكوني ولاحقاً شيفرون)، غلف أويل التي آل معظمها إلى شيفرون وغيرها، تكساكو التي اندمجت مع شيفرون. وهكذا انحصر نادي الكبار الآن بشركتين أميركيتين هما اكسون وشيفرون، وبشركة بريطانية هي بريتش بتروليوم، وبشركة بريطانية - هولندية مشتركة هي شل. انظر:

Anthony Sampson, *The Seven Sisters: The Great Oil Companies and the World They Shaped*. (Viking Press, New York, ١٩٧٥).

٨٨ <http://www.financialcryptography.com/mt/archives/٠٠٠٠٧٠.html>

٨٩ *Henry C K Liu is chairman of New York-based Liu Investment Group.*

٩٠ <http://www.atimes.com/global-econ/DD١١Dj٠١.html>

٩١ <http://www.marketinghotsheet.com/٠١a.php>

٩٢ رويترز، ٢٠٠٧/٢/٦

٩٣ <http://www.globalresearch.ca/articles/CLA٤١٠A.html>

- ٩٤ <http://www.energybulletin.net/vv.vv.html>
- ٩٥ <http://www.msnbc.msn.com/id/١٦٩٢٠٩٣٣/>
- ٩٦ <http://www.federalreserve.gov/boarddocs/speeches/٢٠٠٥/٢٠٠٥٠٣١٠٢/default.htm>
- ٩٧ <http://www.counterpunch.org/roberts٠٢١٢٢٠٠٧.html>
- ٩٨ <http://www.whitehouse.gov/news/releases/٢٠٠٧/٠١/٢٠٠٧٠١٢٣-٢.html>
- ٩٩ <http://www.jhu.edu/~gazette/٢٠٠٦/١٠oct٠٦/١٦iraq.html>
- ١٠٠ http://commentisfree.guardian.co.uk/richard_horton/٢٠٠٧/٠٣/counting_the_cost.html
- ١٠١ <http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/articles/A١٧٤٦٢-٢٠٠٥Feb١١.html>
- ١٠٢ <http://www.ft.com/cms/s/a٢be٢f٠e-٨٢c٤-١١db-٩e٩٥-٠٠٠٧٧٩e٢٣٤٠.html>
- ١٠٣ John Pilger, *The New Rulers of the World*, (Verso, ٢٠٠٣), pp ٣-٤
- ١٠٤ المصدر أعلاه، ص ٤
- ١٠٥ http://news.bbc.co.uk/٢/hi/in_depth/٦٣٦٩٥٢٩.stm
- ١٠٦ المصدر قبل أعلاه، ص ٢٦
- ١٠٧ John Pilger, *The New Rulers of the World*, (Verso, ٢٠٠٣), p ١٧
- ١٠٨ <http://www.cia-on-campus.org/internet/indo.html>
- ١٠٩ <http://www.whitehouse.gov/news/releases/٢٠٠٧/٠١/٢٠٠٧٠١٢٣-٢.html>
- ١١٠ Mark Curtis, *Web of Deceit: Britain's Real Role in the World*, (Vintage, ٢٠٠٣) p. ٢٨٣
- ١١١ المصدر أعلاه.
- ١١٢ المصدر أعلاه.
- ١١٣ http://www.usip.org/isg/iraq_study_group_report/report/١٢٠٦/index.html
- ١١٤ http://www.usatoday.com/news/washington/٢٠٠٧-٠١-٢١-bush-qanda_x.htm
- ١١٥ <http://www.bakbakan.com/swishkb.html>
- ١١٦ <http://www.slate.com/id/٢٠٩٠١١٤/>
- ١١٧ <http://www.usafa.af.mil/df/dfh/docs/Harmon٠٥.doc>
- ١١٨ <http://www.mtholyoke.edu/acad/intrel/osulliva.htm>
- ١١٩ http://www.larouchepub.com/other/٢٠٠٤/٣١٠٧asia_dollar.html
- ١٢٠ المصدر أعلاه.
- ١٢١ http://us.ft.com/ftgateway/superpage.ft?news_id=fto١١١٦٢٠٠٦١٤٠٦٣٠٤٩٠٣
- ١٢٢ <http://www.ft.com/cms/s/d٧٩٦٨c٠٢-٩٦١٧-١١db-٩٩٧٦-٠٠٠٧٧٩e٢٣٤٠.html>
- ١٢٣ <http://www.ft.com/cms/s/٥٧٢b٤١a٦-a٤١٤-١١db-bec٤-٠٠٠٧٧٩e٢٣٤٠.html>
- ١٢٤ <http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/٢٠٠٥/٠٨/٠٢/AR٢٠٠٥٠٨٠٢٠٠٤٠٤.html>
- ١٢٥ <http://www.house.gov/paul/congrec/congrec٢٠٠٦/cr٠٢١٥٠٦.htm>
- ١٢٦ <http://www.globalsecurity.org/military/ops/global-deployments>.
- ١٢٧ <http://www.heritage.org/Research/NationalSecurity/cda٠٦>
- ١٢٨ http://www.latimes.com/news/nationworld/nation/la-na-contractors١٢feb١٢٠١٠٠٨٢٢٩٢_story?coll=la-headlines-nation
- ١٢٩ <http://www.antiwar.com/casualties/>
- ١٣٠ http://www.forbes.com/home/business/٢٠٠٧/٠٢/٠٧/contractors-iraq-pentagon-biz-wash-cx_bw_٠٢٠٨contractors.html
- ١٣١ <http://www.thecrimson.com/printerfriendly.aspx?ref=٣٥٥٠٤٧>
- ١٣٢ http://www.usatoday.com/money/industries/٢٠٠٦-٠٩-١٠-security-industry_x.htm
- ١٣٣ <http://www.cia.gov/cia/publications/factbook/geos/iz.html>
- ١٣٤ <http://www.counterpunch.org/ziada١٢٢٧٢٠٠٦.html>
- ١٣٥ <http://www.haaretz.com/hasen/spages/٨١٤٨٢٤.html>
- ١٣٦ <http://www.guardian.co.uk/commentisfree/story/٠,٢٠٣٠٠١٥,٠٠٠.html>
- ١٣٧ الاسوشيتد برس، ٢٠٠٧/١/٣٠
- ١٣٨ <http://www.counterpunch.org/kolko٠٢١٠٢٠٠٧.html>
- ١٣٩ <http://www.counterpunch.org/portis٠٢٢٤٢٠٠٧.html>

١٤٠ Noam Chomsky, *Hegemony or Survival: America's Quest for Global Dominance*, (Penguin, ٢٠٠٣), pp. ١٦٤-١٦٥

١٤١ <http://ksgnotes١.harvard.edu/Research/wpaper.nsf/rwp/RWP٠٦-٠١١>

١٤٢ <http://www.theage.com.au/news/film/documentary-shows-americas-dark-side/٢٠٠٧/٠١/٢٧/١١٦٩٧٨٨٧٤٤٠١٥.html>

١٤٣ صحيفة آسيا تايمز، ٣ مارس ٢٠٠٧

١٤٤ <http://www.counterpunch.org/>

١٤٥ <http://news.independent.co.uk/world/americas/article٢٢٩٣٤٨٥.ece>

١٤٦ http://www.usatoday.com/news/world/iraq/٢٠٠٦-٠٨-٠٧-iraqi-case_x.htm

١٤٧ <http://www.jimmycarterlibrary.org/documents/speeches/su٨٠jec.phtml>

١٤٨ <http://www.yale.edu/lawweb/avalon/presiden/speeches/eisenhower٠٠١.htm>

١٤٩ http://abcnews.go.com/sections/us/Polls/torture_poll_٠٤٠٥٢٧.html

١٥٠ <http://www.iraqbodycount.org/press/pr١٥.php>

١٥١ <http://ksgnotes١.harvard.edu/Research/wpaper.nsf/rwp/RWP٠٦-٠١١>

١٥٢ <http://www.breitbart.com/news/٢٠٠٦/٠٣/٠٩/٠٦٠٣٠٩٢١١٩٣٨.c٣imi٣s٨.html>

١٥٣ Gabriel Kolko, *Another Century of War?*, (New Press, September ٢٠٠٢)

وكرر كولكو هذا الاستنتاج في كتاب آخر هو:

Gabriel Kolko, *The Age of War*, (Lynne Rienner Publishers, ٢٠٠٦), p. ١٧٧

١٥٤ <http://www.democracynow.org/article.pl?sid=٠٤/١١/٠٩/١٥٢٦٢٥١>

١٥٥ John Pilger, *The New Rulers of the World*, (Verso, ٢٠٠٣), pp ١٧-٤٧

١٥٦ William Blum, *Rogue State*, (Zed books, London, ٢٠٠٦), pp. ١-٢

١٥٧ المصدر أعلاه، ص ١٢٤.

١٥٨ انظر دراسة ف. وليام إنغدال، صحيفة آسيا تايمز، ١ مارس ٢٠٠٧

١٥٩ Noam Chomsky, *Hegemony or Survival: America's Quest for Global Dominance*, (Penguin, ٢٠٠٣), pp ١-٢, ٢٣٦-٢٣٧

١٦٠ "الف ميل في خطوة واحدة"، عبد الله بن مساعد بن عبد العزيز، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ٢٠٠١)، الصفحات ٢٦٩-٢٧٠.

١٦١ انظر بيان هيئة علماء المسلمين في العراق بتاريخ ٢٠/٣/٢٠٠٧

١٦٢ صحيفة نيويورك تايمز، ٢٥ فبراير ٢٠٠٧

١٦٣ رويترز، ٢٨ فبراير ٢٠٠٧

١٦٤ Niall Ferguson, *The War of the World: History's Age of Hatred*, (Allen Lane, ٢٠٠٦)

Phebe Marr, *The Modern History of Iraq*, (Westview Press, ٢nd Edition, ٢٠٠٣)

Phebe Marr & William Lewis, *Riding the Tiger: Middle East Challenge After the Cold War*, (Westview Press ١٩٩٣)

David Fromkin, *A Peace to End All Peace: The Fall of the Ottoman Empire and the Creation of the Modern Middle East*, (Weidenfeld & Nicholson, ٢٠٠٠)

١٦٥ Steven Runciman. *The Kingdom of Jerusalem*, (The Folio London Society, ١٩٩٤). *The Kingdom of Acre*. (The Folio London Society, ١٩٩٤)

١٦٦ <http://www.bishtawi.com/research/elsa.html>

١٦٧ F William Engdahl, *A Century of War: Anglo-American Oil Politics and the New World Order*, (Pluto Press, ٢٠٠٤)

١٦٨ Gabriel Kolko, *The Age of War*, (Lynne Rienner Publishers, ٢٠٠٦), p. ١٧٧

١٦٩ <http://www.globalpolicy.org/security/issues/iraq/justify/٢٠٠٥/٠٧٢٨blood.htm>

١٧٠ Mark Steyn, *America Alone: The End of the World as We Know It*, (Regnery Publishing, ٢٠٠٦)

١٧١ http://www.amconmag.com/٢٠٠٢/٢٠٠٢_١٠_٠٧/after_the_war.html

مراجع إضافية وخلفيات

- Coll Steve, *Blowback* (Time Warner Paperbacks, ٢٠٠٢)
- Johnson Chalmers, *The Sorrows of Empire: Militarism, Secrecy and the End of the Republic* (Verso Books, ٢٠٠٦)
- Roger Burbach and Jim Tarbell, *Imperial Overstretch: George W. Bush and the Hubris of Empire* (Zed Books Ltd, ٢٠٠٤)
- Robert Fisk, *The Great War for Civilisation: The Conquest of the Middle East* (Harper Perennial, ٢٠٠٦)
- John Perkins, *Confessions of an Economic Hit Man: The Shocking Story of How America Really Took Over the World* (Ebury Press, ٢٠٠٦)
- Michael C. Ruppert, *Crossing the Rubicon: The Decline of the American Empire at the End of the Age of Oil* (New Society Publishers, ٢٠٠٤)
- Alfred McCoy, *The Politics of Heroin: CIA Complicity in the Global Drug Trade, Afghanistan, Southeast Asia, Central America, Columbia* (Lawrence Hill & Co, ٢٠٠٣)
- William R. Clark, *Petrodollar Warfare: Oil, Iraq and the Future of the Dollar* (New Society Publishers, ٢٠٠٤)
- Noam Chomsky, *Pirates and Emperors, Old and New: International Terrorism in the Real World* (Pluto Press, ٢٠٠٢)
- James A Bill., *The Eagle and the Lion: The Tragedy of American-Iranian Relations* (New Haven: Yale University Press, ١٩٨٩)
- Tariq Ali, *Pirates of the Caribbean: Axis of Hope* (Verso, ٢٠٠٦)
- Michael D. Bordo, "Financial Crises, Banking Crises, Stock Market Crashes, and the Money Supply: Some International Evidence ١٨٧٠-١٩٣٣", in *Financial Crises and the World Banking System*, edited by Capie, Forrest and Wood, Geoffrey E. (Palgrave Macmillan, ١٩٨٦)
- Michael D. Bordo and Anna J. Schwartz, Eds., *A Retrospective on the Classical Gold Standard, ١٨٢١-١٩٣١* (University Of Chicago Press, ١٩٨٤)
- Rudiger Dornbusch, *The Gold Standard and the Bank of England in the Crisis of ١٨٤٧* (National Bureau of Economic Research, ١٩٨٢)
- G. A. Ford, *The Gold Standard, ١٨٨٠-١٩١٤: Britain and Argentina* (Taylor & Francis, ١٩٨٣)
- Peter Dale Scott, *Drugs, Oil, and War: The United States in Afghanistan, Colombia, and Indochina* (Rowman & Littlefield Publishers., ٢٠٠٣)
- Harlan Ullman, *America's Promise Restored: Preventing Culture, Crusade, and Partisanship from Wrecking Our Nation* (Carroll & Graf, ٢٠٠٦)
- Harlan Ullman and Senator John S. McCain, *Unfinished Business: Afghanistan, the Middle East, and Beyond: Defusing the Dangers That Threaten America's Security* (Citadel, ٢٠٠٣)
- Harlan Ullman, James Wade and Others, *٢١st Century U.S. Military Documents: Shock and Awe, Achieving Rapid Dominance- Momentous Defense Paper on New Strategies* (Progressive Management, ٢٠٠٥)
- Phillip Agee, *Inside the Company: CIA Diary* (Bantam, ١٩٨٤)
- John Gerassi, *The Great Fear in Latin America* (Collier Books, ١٩٦٧)
- Kenneth S. Deffeyes, *Beyond Oil: The View from Hubbert's Peak* (Hill and Wang, ٢٠٠٦)
- D. A. Farnie, *East and West of Suez: The Suez Canal in History, ١٨٥٤-١٩٥٦* (Clarendon Press, ١٩٦٩)
- Kenneth Love, *Suez: the Twice-Fought War, A History* (McGraw-Hill, ١٩٦٩)
- Avraham G. Mezerik, ed., *The Suez Canal ١٩٥٦ Crisis-١٩٦٧ War* (International Review Services, ١٩٦٩)
- Mohammed H. Heikal, *Cutting the Lion's Tail: Suez through Egyptian Eyes* (Arbor House, ١٩٨٧)

-
- Donald Neff, *Warriors at Suez: Eisenhower Takes America into the Middle East* (Amana Books, 1988)
- Zachary Karabell, *Parting the Desert: The Creation of the Suez Canal* (Vintage, 2004)
- Judith S. Jeffrey, *Ambiguous Commitments and Uncertain Policies* (Lexington Books, 2000)
- Howard Jones, *A New Kind of War: America's Global Strategy and the Truman Doctrine in Greece* (Oxford University Press, reprinted edition, 1997)
- George McGhee, *The U.S.-Turkish-NATO Middle East Connection: How the Truman Doctrine Contained the Soviets in the Middle East* (Palgrave Macmillan, 1990)
- Arnold A. Offner, *Another Such Victory: President Truman and the Cold War* (Stanford University Press, 2002)
- Elizabeth Edwards Spalding, *The First Cold Warrior: Harry Truman, Containment, And the Remaking of Liberal Internationalism* (University Press of Kentucky, 2006)